للعلم
والفن
والادب

المجلة الشهرية

للرجال
والسيدات
والاولاد

لصاحبها اسكندر مكاريوس صاحب اللطائف المصورة والروايات المصورة والروسة
ومجلة الاولاد . ينشئها نخبة من الكتاب برياسة الاستاذ نجيب شاهين

الجزء الثاني عشر في ١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٦ السنة الاولى

انصرام الربع الاول

من القرن العشرين

— عصر الطيران واللاسلكية والراديوم —

[حرب الترنسفال ـ حرب روسيا واليابان ـ الاتفاق الودي ـ انتخاب حزب الاحرار لانجلترا بكثرة لم يسمع بها ـ الازمة المالية العامة ـ خلع عبدالحميد وقيام الاتحاديين ـ الحرب الطرابلسية ـ الحرب العظمى ـ تنقيح خريطة الارض ـ الثورة المصرية ـ نظام الانتداب ـ حرب تركيا واليونان ـ الجمهورية التركية ـ حرب المغرب وسوريا]

***

هلّ هلال القرن العشرين فما شهده الناس حتى تنفسوا الصعداء ظناً بان القرن التاسع عشر أرهقهم وأن القرن العشرين سينصفهم . تنفسوا الصعداء مأخوذين بأقوال العلماء الذين تخرصوا بان القرن العشرين سيكون قرن نعم وخير وثراء على النوع الانساني بما يخترع فيه من المخترعات العلمية . ولكن فات هؤلاء العلماء أن طمع الانسان فطرة متأصلة فيه وان جشع يوم يفسد زهد سنين . فقد اخترعت مخترعات علمية كثيرة في خلال الخمس والعشرين سنة الماضية وعادت بالخير على الناس ولكن ذلك الخير كله لا يحسب شيئاً مذكوراً في جنب الويلات الماثلة بصورة الحرب العظمى التي انقضت منذ سبع سنين ولكن كوارثها لا تزال باقية

تنفس الناس الصعداء يوم أقبل القرن الجديد بالرغم من أن حرب الانجليز والبوير كانت قائمة . ذلك بان الانسان يملّ القديم ويتوق الى الجديد والتنقل من حال الى حال ولو لم يكن هذا التنقل في مصلحته على الدوام . واشتداد حرب الترنسفال لم يمنع مجلة « القرن التاسع

عشر » المشهورة أن تمثل زوال القرن التاسع عشر الذى سميت باسمه ومجيء القرن العشرين بتمثال نصفي ذي وجهين ـ وجه شيخ هِمّ ينظر الى أسفل وعليه أسارير الكآبة والتعب والنزع . ووجه فتاة جميلة يعلوه الابتسام ودلائل الرجاء وهو يتطلع الى فوق

وانما صورت تلك الصورة لانها كانت تحسب حرب البوير تراثاً من قرن مات غير مأسوف عليه . ويخيل الينا أنها لو صبرت الى سنة ١٩١٤ ما صورت تلك الصورة . على أن المجلة علمية فان كانت قد أرادت بتلك الصورة تمثيل سير العلم في القرن العشرين دون السياسة فان النتائج العلمية فيما مضى من هذا القرن ليست مما يوجب الخيبة واليأس كالنتائج السياسية والاجتماعية

***

انتهت حرب الترنسفال ولم تكد تفعل حتى تلتها حرب أحمى وطيساً وهي حرب روسيا واليابان . فجعل أهل البصائر يدركون أنه إن قدر للقرن العشرين أن يكون قرن رقي وتقدم ففى العلم الصرف لافي طبائع الخلق . وان رقي الطبائع لم يأنِ أوانه بعد . وأنه ان كان القرن التاسع عشر قرن حروب متواصلة من أوله الى آخره ـ من أول قيام بونابرت الى انكساره فى ووترلو الى حرب الاستقلال اليوناني فحروب تركيا المتعددة مع روسيا فحرب فرنسا وبروسيا فحرب تركيا واليونان فحرب اميركا وأسبانيا ثم حرب الترنسفال التى بدأت في آخره وانتهت فى أوائل الحالي ـ فان هذا القرن العشرين سيكون قرن حروب مثله ولكنها حروب أعظم هولا وان تكن أقل عدداً . ولعل هذه الفكرة هى التى حملت لورد كرومر أن يقف في مجلس النبلاء يوماً من أيام سنة ١٩١٣ فيما نذكر وينذر بحرب طامية بين انجلترا والمانيا . وقد نشرت له مجلة الفورتنيتلي مقالة بهذا المعنى نقلنا خلاصتها في بعض أعداد « الجريدة » من تلك السنة أيام كان كاتب هذه السطور في عداد محرريها . بل نريد أن نفخر بالشؤم ولو واحدة في العمر فنقول اننا انبأنا بحرب روسيا واليابان قبل وقوعها باربعة أشهر على صفحات احدى الجرائد المحلية الكبرى في خريف سنة ١٩٠٣ . وأنذرنا على صفحات « الجريدة » بحرب بين المانيا وفرنسا أيام زيارة بوانكاريه لقيصر روسيا فى ريفال سنة ١٩١١ والقائه الخطب الحماسية المملوءة تحدياً لالمانيا وذلك قبل تكهن كرومر بسنة أو سنتين

***

وفي تلك السنة سنة ١٩٠٤ عقد الاتفاق الذى نعنوه بالودى بين انجلترا وفرنسا على مصالحهما في أفريقية . وقد كان في الحقيقة حرباً على الشرق والشرقيين وخصوصاً البلاد العربية

الواقعة في شمال افريقية من مصر شرقاً الى المغرب الاقصى غرباً . وكانت مصر وحدها هي التي استشعرت جزعاً منها ورفعت عقيرتها بالاعتراض عليها في صفحات اللواء والمؤيد . أما سائر البلاد الافريقية التي يمسها ذلك الاتفاق فلم تشعر بوطأته فضلا عن أن ترفع صوتاً في الاحتجاج عليه لانها باتت بفضل سياسة الاستعمار الفرنسوية في سبات دونه سبات أهل الكهف

فلا عجب والحالة هذه أن ينظم الاتفاق في سلك الحوادث غير السلمية ويحسب في عيون الشرقيين حلقة من سلسلة الحروب المتماسكة التي وصم بها القرن العشرون من حرب البوير الى حرب روسيا واليابان فالحرب العظمى فنظام الانتدابات

***

وجاءت سنة ١٩٠٦ فجرى الانتخاب العام في انجلترا وفاز الاحرار فيه بكثرة ساحقة لم يسمع بها في تاريخ الانتخابات الانجليزية . وكان المفهوم أن محور تلك الانتخابات تحدّى مجلس النبلاء بسبب كثرة تعرضه للميزانية أو القانون المالي فوضع كبار زعماء الاحرار وفي طليعتهم المستر لويد جورج والمستر اسكويث (لورد اكسفورد الآن) والمستر تشرتشل مشروع قانون فحواه انه اذا عرض مشروع مالي على مجلس النبلاء بعد موافقة مجلس النواب عليه فرفضه عرض عليه ثانية فاذا رفضه اصبح قانونا نافذ المفعول رغم رفض مجلس النبلاء له

وافق مجلس النواب على مشروع القانون هذا فارسل الى مجلس النبلاء للموافقة عليه فهاج هذا المجلس وماج وطالت مناقشته فيه واشار بعض زعماء المحافظين والاتحاديين على اتباعهم برفضه ومنهم اللورد ملنر . فانه قال قولة بقيت تردد من ذلك الحين الى يوم وفاته في اوائل هذا العام وهي « ارفضوه مهما تكن العواقب » . ولكن مشورة اهل الفطنة منهم تغلبت على مشورة الرعناء فوافق مجلس النبلاء على القانون مكرهاً اذ لو لم يوافق عليه لعمد مجلس النواب الى اتخاذ تدابير شديدة ضده . وكان المعروف ان تلك التدابير الشديدة هي الغاؤه ومحوه من الوجود فاختار النبلاء اهون الشرين في الظاهر

***

وفي أواخر سنة ١٩٠٦ طرأت الازمة المالية الاقتصادية واشتدت في اوائل سنة ١٩٠٧ فعمت العالم كله وأصاب هذا القطر قسط وافر منها . واتفق أن اشتدادها عندنا كان لورد كرومر يتأهب للرحيل من هذا القطر بعد ما أقام ربع قرن فيه فشاع أن رحيله سبب الازمة . وقد كان سببها الحقيقي تحويل التجارة الى مضاربة والبيع على المكشوف في كل شيء من غير

أن يكون هناك مال يكفي لدفع جزء ولو قليل ثمن ما يباع وما يشترى . وكانت هذه الحالة اشبه بتضخم النقد من غير أن يكون ثمة احتياطي من الذهب لاستبداله به. فكانت النتيجة خراب بيوت كثيرة

***

وأعلن في أوائل سنة ١٩٠٨ خلع السلطان عبد الحميد وانشاء حكومة الاتحاد والترقي حول نواة قديمة هي نواة حزب تركيا الفتاة . وتخلل ذلك انقلابات كثيرة بين قيام هذا وسقوط ذاك ولكن الثورة كانت ثورة سلمية على وجه الاجمال فلم يسفك فيها دم كثير . وكان انور وطلعت روحها ومُدِيْرَي دفتها . ولم تكد تتأيد حتى نشبت الحرب الطرابلسية مع ايطاليا سنة ١٩١١ وانتهت باقتطاع طرابلس من املاك الدولة العثمانية

***

وفي صيف سنة ١٩١٤ شبت نار الحرب العظمى بين المانيا والنمسا من جهة وفرنسا والبلجيك وروسيا من الجهة الاخرى فانضمت انجلترا الى فرنسا وروسيا والبلجيك منذ أول الحرب وخرجت ايطاليا من المحالفة الثلاثية فانضمت الى فرنسا واخواتها من الدول التي سميت بدول الحلفاء . وانضمت تركيا في اكتوبر وبلغاريا بعدها الى المانيا والنمسا. واميركا في اوائل سنة ١٩١٧ الى الحلفاء . ووقفت الدول الاخرى موقف الحياد ولكن حياد بعضها كان صورياً لانها كانت تساعد هذا الفريق او ذاك مساعدة سرية . وعطف الناس على فرنسا حسبان أنها ضعيفة مظلومة وكان هذا العطف هو الذي حمل اميركا في الحق على الانضمام اليها ولم يكن اغراق الباخرة موريتانيا سوى حجة سطحية . وكان دخول اميركا الحرب هو الذي انقذ فرنسا وحلفاءها فان المارشال فوش بث مليوني الجندي اللذين انزلتهما اميركا الى فرنسا هنا وهناك على الحدود وخصوصاً الارجون فتمكن بذلك من سحب الجنود الفرنسية الى جهة اميان حيث كان هندنبرج يحاول خرق خط الحلفاء في ربيع سنة ١٩١٨ فمنعت جيوش الحلفاء هندنبرج أن يخرق خطها وخرقت هي خطه المشهور

وفي نوفمبر من تلك السنة عقدت الهدنة ولكن لا يزال الناس من بلايا تلك الحرب وهمومها التي خلفتها في حرب اوشرّ من الحرب . فغلاء في وسائل المعيشة وفساد في الاخلاق ودول مظلومة انقلبت ظالمة وامم انالتها الحرب حقوقاً بالاسم ثم لم تطبق تلك الحقوق بالفعل

وقد نقحت خريطة نصف الكرة الشرقي بعد الحرب وخصوصا خريطة أوربا تنقيحاً كثيراً فاخذت فرنسا شيئاً من املاك المانيا الغربية وبولونيا شيئاً من املاكها الشرقية وايطاليا شيئاً من املاك النمسا في الترنتينو واخذت مستعمرات المانيا في شرق افريقية وغربها منها وقامت دولة جديدة اسمها تشكوسلوفاكيا مؤلفة من الصرب وحطام النمسا . ودولة أخرى اسمها يوجوسلافيا . ودول اخرى صغيرة لا تحصى في روسيا

***

وفي سنة ١٩١٩ قامت الثورة المصرية وتقلبت عليها الاحوال ولا تزال الى الآن غير مستقرة على حال

وأشتد غلاء الحاجات سنة ١٩١٩ وبلغ معظمه سنة ١٩٢٠ حتى صار متوسط النفقات ثلاثة أضعاف ما كان قبل الحرب ثم جعل الغلاء يخف شيئاً فشيئاً حتى لا يزيد متوسط النفقات الآن على ١٦٠ في المائة في اصدق احصاء

***

وربما كان شر تركة الحرب الماضية نظام الانتداب . وسبب شره ان الامم تحكم به على غير ما تحب وتشتهي . يقال لها اختاري فاذا اختارت زيداً رموها بعمرو واذا اختارت عمراً رزأوها بخالد . والداء مستعص لا ينجع فيه دواء لأن المسئلة في يد عصبة الامم وليست عصبة الامم سوى انجلترا وفرنسا . وما دامت اميركا خارجة عن العصبة فسيرى الشرق في أي طريق هو مسوق . ولقد قال المثل العامي « اتبع الديك يوديك اما للمزبلة واما للخراب » وهذه حرب سوريا نتيجة مباشرة له وحرب المغرب نتيجة ولكن غير مباشرة

***

وربما كان من أهم الحوادث في ربع القرن الماضي من الوجهة السياسية سقوط عبد الحميد سنة ١٩٠٨ وثل عرش عثمان على اثر الحرب العظمى ومناداة مصطفى كمال بالجمهورية في السنة الماضية . ولسنا بناسين الحرب التي قامت بينه وبين اليونانيين في الاناضول واستياقهُ لهم الى ازمير ثم طرحه اياهم في البحر لا يعودون الى الاناضول ابد الدهر

***

هذا أهم الانقلابات السياسية والاجتماعية في ربع القرن الماضي اما سير العلم فيه فيلخص بكلمات ثلاث الطيران واللاسلكية والراديوم . اما الطيران فقد حلت عقدته بعد ما كان

اللورد كلفن العالم الطبيعي يقول في مفتتح هذا القرن ان الطيران مستحيل لان المسئلة مسئلة عوم جسم ثقيل على شيء اخف منه وهذا وجه الاستحالة

واما اللاسلكية فقد بدت منها العجائب حتى الآن وما ينتظر منها لهو اعظم مما حدث

واما الراديوم وإن يكن من مواليد القرن الماضي فقد خلفه ابوه طفلا رضيعاً وهو يترعرع ويشب في هذا القرن ويقدرون انه سيقلب نظام معيشة النوع الانسانى على سطح هذه الارض بماهية القوة التى ينطوى عليها أو قوة الجوهر الفرد الكامنة في صدره تترقب الفرص للثوران من مكمنها

***

وبعد فلسوف يقف طالب فى مدرسة من مدارس القرن الحادى والعشرين وفي صفّ من صفوف التاريخ يعدّ حوادث القرن العشرين الكبرى من سياسية واجتماعية وعلمية جواباً لسؤال يلقيه عليه استاذه ـ كما يعدّ الواحد منّا حوادث القرن التاسع عشر المشهورة وأهمها حروب بونابرت وتكوّن مصر الحديثة واستقلال اليونان وا كتشاف قوة البخار وفتح ترعة السويس وارتقاء الكهرباء وا كتشاف الراديوم وارتقاء فنّ الطب وخصوصاً الجراحة على أثر ا كتشاف مضادات الفساد . وا كتشاف مبدإ التلقيح لمقاومة بعض الامراض الخبيثة كالجدري والدفثيريا والتيفويد . وسبب الملاريا وعلاجها الى آخر ما هناك ـ

سوف يقف تلميذ التاريخ في القرن الحادي والعشرين يعدّ حوادث هذا القرن المشهورة بالترتيب التاريخي فيبدأ بحلّ مسئلة الطيران ويذكر ا كتشاف اللاسلكية وترعرع المخترعات الكهربائية ثم الثورة التركية ويستطرد الى الحرب العظمى التي فاقت حروب الناس مجتمعة في هولها وعظيم أثرها وسقوط آل رومانوف وهبسبرج وعثمان وهوهنزلرن وطروء انقلاب اجتماعي عظيم بل هو ثورة اجتماعية شاملة فى أخلاق الناس وآدابهم بدأوا يرون فيها الحرام حلالا والمحظور مباحاً

هذا أعظم ما يميز الربع الاول من القرن العشرين وعند هذا الحد نقف لا نروم تكهناً ولاتخرصاً فيما عسى أن يعد تلميذ التاريخ من حوادث بقية القرن . ولو شئنا التكهن ما أعجزنا ذلك ولكننا لانحب أن نطأ أرض التكهن بعد انقضاء عهود التكهن والنبوّة لان المخاطر في تلك الارض ليس محموداً وان سلم

فلقد تكهن أحد رجال الدين من الانجليز باشياء تقع سنة ١٩٢٥ كظهور ابراهيم الخليل

واسحاق ويعقوب وغيرهم من رجال الله الاوفياء بعد ما ماتوا منذ أربعة آلاف سنة وشبعوا موتاً الى غـير ذلك مما نشرنا عنه مقالة ضافية في الجزء الثاني من المجلة جزء مارس الماضي . وقد كادت سنة ١٩٢٥ تنقضي ولم يحدث شيء أوشبه شيء مما انبأ به القسّ المرجف . ولعله يحدث قبل انصرام السنة اذ لا يزال أمامنا بضعة أيام ونحن نكتب هذه السطور فلم يفرغ صبرنا وها نحن منتظرون الى آخر يوم منها تبعاً للمثل القائل « الحق الـكذاب الى باب الدار » . فاذا قام اولئك الاولياء من الاموات ليبشروا أهـل الارض بالنعيم المقيم كما يقال فحبذا وكرامة والاّ فيكفينا أن ينقضي عهد الاراجيف الذي وجد مع هـذا الخلق منذ نشأته ويعلم الذي يصدق المرجفين والمتنبئين مبلغ سخفه وسخفهم وصدق قول قسّ بن ساعدة من خطبته المشهورة « من عاش مات ومن مات فات . ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا

لا يرجـع المـاضي الـــــــيّ ولا من الباقـين غابرْ

صدق قسّ العرب وكذب قسّ الغرب

العصفورة والناسك

نصب رجل من بني اسرائيل فخاً فجاءت عصفورة فوقعت عليه . فقالت مالي أراك منحنياً . قال لـكثرة صلاتي انحنيت . قالت فمالي أراك بادياً عظامك . قال لـكثرة صيامي بدت عظامي . قالت فمالي أرى هذا الصوف عليك . قال لزهادتي في الدنيا لبست الصوف . قالت . فما هذه العصا عندك . قال أتوكأ عليها وأقضي بها حوائجي . قالت فما هـذه الحبة في يدك . قال قربان إن مرّ بي مسكين ناولته اياه . قالت فانى مسكينة . قال فخذيها فقبضت على الحبة فاذا الفخ في عنقها فجعلت تقول « قعي قعي »

الى هنا كلام طيب . ولـكن جاء في خاتمة القصة مايأتي :

« قال الخشني تفسير « قعي قعي » لا غرّني ناسك مراء بعدك أبداً » . وهـذا مغزى طيب أيضاً لولا ما يدعى بعض العلماء من ان للحيوانات لغة وانهم يعرفونها حقيقة لا مجازاً وانهم أوتوا تفسير كل صوت من أصواتها ونبرة من نبراتها

احمد حسنين بك

فى طريقه الى جغبوب

بعض صور رحلته

هذه مقالة مصورة عن رحلة صاحب العزة احمد حسنين بك الى واحة كفره ـ تلك

الرحلة التى اهتمت بها صحف انجلترا مزيد الاهتمام فتناقلت انباءها وتزاحمت على نشرها ثم لما صدر كتابه وفيه وصف الرحلة مفصلا لم تبق جريدة الا قرظته واطرت صاحبه وخدمته للعلم.

ونحن ننقل الصور الآتية من مصدر غير الكتاب

حسنين بك وطارق غريب — « لقد تآمر الخمالة أن يقطعوا الطريق عليك ويسلبوك ما معك . فستفقد مالك وخشى أن تفقد حياتك »

اما حكاية هذه الصورة فهى . حدث حسنين بك قال :

« كنت جالساً مساء يوم في غرفتى ببيت الحكومة الصغير (فى السلوم قبيل سفره الى

جغبوب) فاذا طارق يقرع الباب . فلم اتصور ما غرض الطارق في تلك الساعة . فقمت الى الباب وفتحته بعض الشيء فرأيت بدوياً واقفاً هناك فقلت من أنت ؟ قال صديق . قلت ما

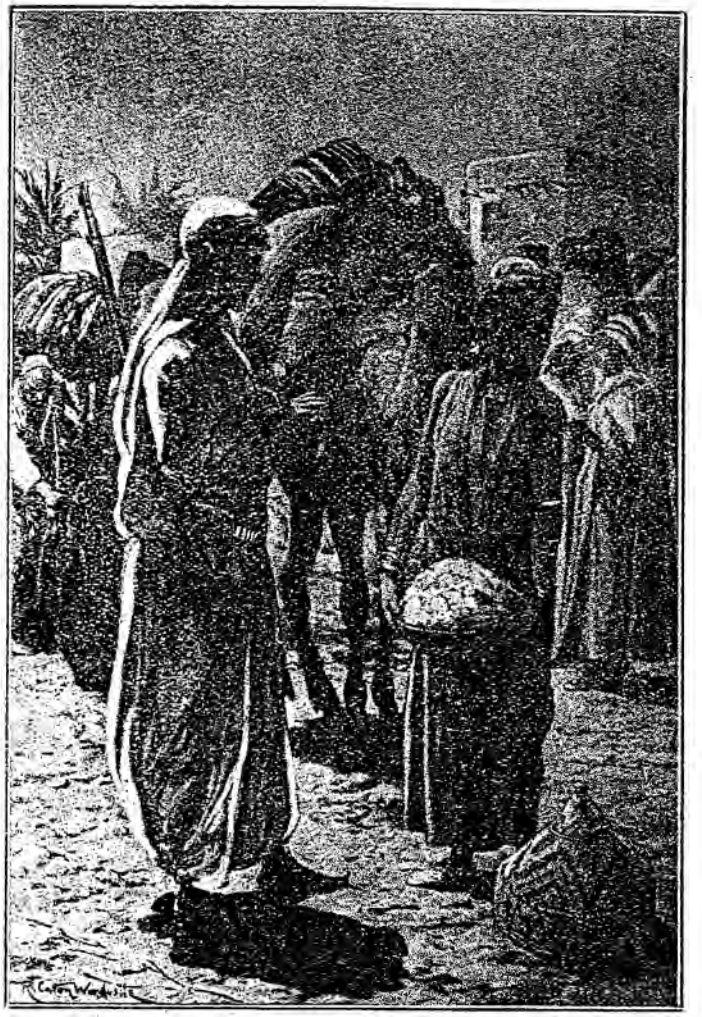

حسين بك والجاريه الحسناء ـ « قد تحتاج الى هذا الطعام فى اثناء الطريق . فكل مريئاً انى طيبته بيدي »

اسمك وماذا تريد ؟ قال عندى شيء اسره اليك

ففتحت الباب فدخل فقلت ماوراءك ؟ قال انتم قاصدون الى جغبوب بالطريق المستقيم قلت نعم . قال لا تفعلوا : قلت لماذا ؟ قال ان البك رجل ذو مال وفى احماله كثير من نعم الله

السيد ادريس السنوسي الذي ساعد البعثة كثيرا

والبدو قوم طماعون والشائع بينهم أن معك كثيراً من الصناديق المملوءة ذهباً . وقد دبروا مع اصحاب لهم على الطريق ان يقطعوا الطريق عليك ويسلبوك ما معك . فاحذر فقد تفقد مالك وحياتك معاً

ثم سألته أسئلة أخرى فايقنت انه صادق في انبائه ولا سيما انه قريب رجل صنعت معه خيراً في مهمتي الاخيرة الى السنوسي . فشكرته على قصته وجلست افكر فيما عسى ان اصنع

وأرسل احد الزعماء وأسمه بو حلقه هدية الى حسنين بك مع فتاة البست ملابس نظيفة وهذه الهدية جفنة كبيرة من الرز المطبوخ بالدجاج وشيء من البيض . فلما وقفت أمامه قالت بخجل « قد تحتاجون الى هذا الطعام في طريقكم . وقد طبخته بيدى » قال « اذا كان ذلك كذلك فاني اقبله بفرح » . ثم ذهبت وعادت بقصعة أخرى مثلها . قال حسنين بك « فسلمت للاقدار وزودتها السلام على سيدها »

رجال القافلة « يتزينون » بعد نزولهم فى احدى الواحات

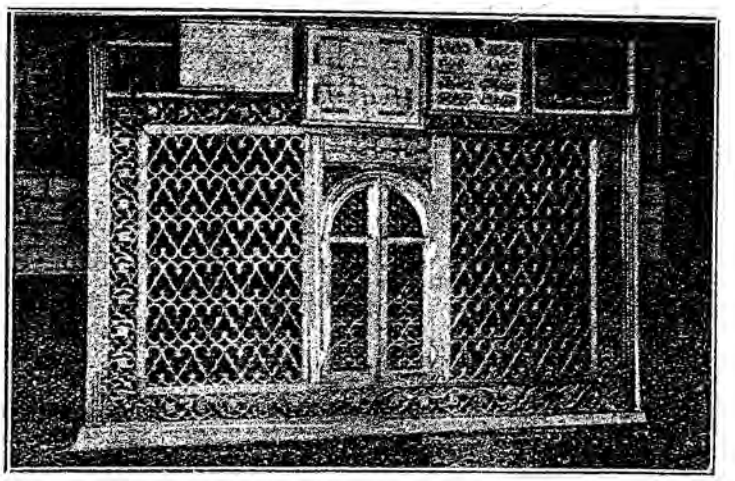

مدخل مقام السنوسى الكبير مؤسس الطريقة السنوسية

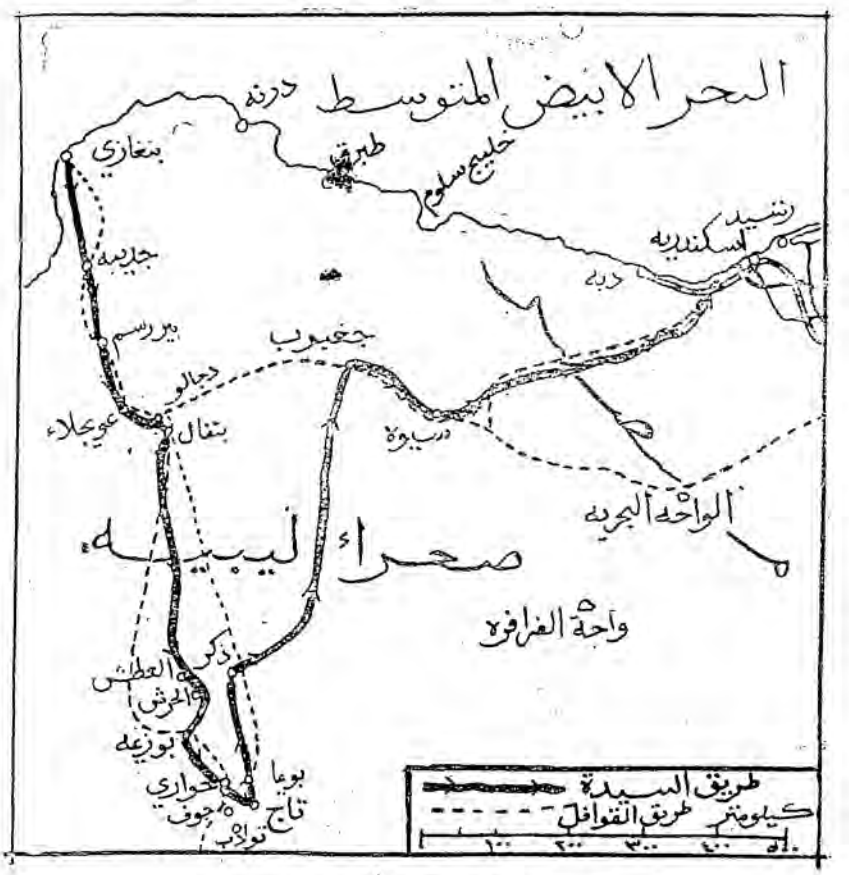

خريطة القيروان وصحراء ليبيه

خزائن البحر الميت

مشروع لحكومة فلسطين

البحر الميت أو بحيرة لوط هو البحر الذي يصب فيه نهر الاردن أخيراً بعد مروره في بحيرة الحولة شمالا ثم بحيرة طبرية بعدها جنوباً . وهو بحر أصر أي لا منفذ له واوطأ من سطح البحر بألف قدم

وأرضه بركانية نارية كثيرة المعادن من كبريت وملح وبترول وغيرها . وقد جاء في التوراة أن امرأة لوط التفتت خلفها الى سدوم وعمورة بعد خروجها منهما هي وزوجها وبعد احراق الله للبلدتين بالنار والكبريت ـ التفتت اليهما التفاتة تشوّق وتحرّق فأصارها الله عمود ملح . وقيل في التقاليد أن سبب ملوحة الماء الى حد المرارة ذوبان امرأة لوط فيها بعد تحولها ملحاً . وهذا مستحيل الا اذا كانت امرأة لوط قد زادت ضخامة على العمد التي بنى بها الجن تدمر بتجهيز سليمان واذن الله كما قال الشاعر العربي القديم

أما السبب فى كون البحر الميت لا يمتلىء ماء مع توالي انصباب الماء فيه من الاردن فهو انخفاضه وشدة الحر فيه وبالتالي كثرة تبخر الماء معظم السنة . فما يكسبه من الاردن يخسره من التبخر

وقد قدروا أن ثقل الاملاح المختلفة الذائبة والراسبة فيه يبلغ ٣٠ بليون طن . فرأت حكومة فلسطين أن تنتفع من هذه الاملاح فطلبت من الشركات الانجليزية أن تقدم « عطاءاتها » فتعطى صاحبة العطاء الاقل امتيازاً باستخراج الاملاح من البحر

ويقال أن عشرة بلايين طن من تلك الاملاح هي من الملح العادى و٢٠ بليوناً من كلوريد البوتاسيوم أو السماد الطبيعي وبروميد المغنيزيوم وغيرهما من المواد الكيميائية

والمظنون أن الشركة التي « ترسو المناقصة » عليها لا تضطر الى اشعال نار لتبخير الماء بسبب شدة الحر هناك . وكل ما يحتاج اليه بناء أحواض واسعة قريبة القعر يطلق اليها الماء فيتبخر فيها باشعة الشمس

ولا يعلم أصل البحر الميت علمياً بالتحقيق وكل ما يعرف عنه أن السمك لا يعيش فيه والطير لا يحوم عليه والسفن لا تمخر في جوانبه والعشب لا ينبت على ضفافه لعدم وجود الماء العذب

(البقية على الصفحة التالية)

الشيخ الجليل

أو المستر غلادستون

لقب الانجليز المستر غلادستون بالشيخ الجليل كما يلقب المصريون سعد زغلول باشا بالرئيس الجليل . ووجوه الشبه بين الرجلين كثيرة منها ما هو حسيّ ومنها ما هو معنوي كما يقول البيانيون . فمن الحسي طول النجاد والمقدرة الخطابية . ومن المعنوي الاخلاص والغيرة الوطنية . وهناك وجه شبه آخر وهو كثرة الحساد والنقاد ولست أعلم هل هذا من وجوه الشبه الحسية أو المعنوية ولعله من الاولى أو لعلهُ من الثانية

كان المستر دزرايلي أو لورد بيكنسفيلد كما سمى فيما بعد أعظم اقران المستر غلادستون أو أنداده ولا نقول حساده . وكان يقال عنه أنه كان يجود أيما اجادة في الخطابة اذا حرج موقفه وخيل الى الجميع أنه يقاتل في معركة خاسرة

صورة غلادستون سنة ١٨٤٠ أي بعد زواجه بسنة

وفي أواخر سنة ١٨٥٢ كان وزيراً للمالية وقائداً لمجلس النواب فوقف يدفع ببيانه المشهور عن ميزانيته وكانت ميزانية ممقوتة وأدرك وهو يدافع عنها أنه لا ينقذ الوزارة من الخذلان الاّ أعجوبة يبذل فيها أقصى ما أوتي من البيان والحنكة والدهاء

قرعت الساعة الثانية عشرة ليلا مؤذنة بانتصاف الليل وبقرب انتهاء مناقشة كانت من أطول ما عرف في ذلك العهد وأبدع . وتدرع دزرايلي بشجاعة وتهوّر جلبتهما اليأس المحيق بموقفه فأمطر خصومه وابلاً

(بقية المنشور على الصفحة ١٣٥٧)

ويقول الجيولوجيون أو علماء طبقات الارض أن قعر بحيرة لوط أعمق قعر على سطح الارض وانه تكون منذ مليون سنة أو اكثر . وقد عاد الصليبيون والحجاج الاقدمون من زيارة تلك الارض وهم يشيعون أهول الاشاعات عنها مما سوّأ سمعتها في العالمين. فما ارجفوا به أن الهواء في جو البحيرة مفعم غازات سامة وان ماءها وسواحلها آهلة بخلائق على غاية من بشاعة المنظر وهناك من الدلائل ما يدل على ان قعر البحيرة لم يكن في احد الازمان الماضية واطئاً كما هو الآن

من قوارص كلامه طاعناً مرة وساخراً آونة . وكان يتنقل بين الطعن والسخرية بسرعة وحضور ذهن حـيرا سامعيه حتى انطرح على كرسيه نحو الساعة الثانية صباحاً وقـد بلغ الاعياء منه لا العي مبلغه فوقع فى الاذهان أن الوزارة نجت من السقوط بفضل ما بذل من المجهود

لـكنه لم يكد يرتمي على كرسيه حتى وقف كهل جميل الطلعة مجدول العضل أسود العينين عريض بساط الجبين . وقف هـذا الرجل من مقاعد المعارضين ليرد على وزير المالية . وكان هذا الواقف المستر غلادستون ولم يكن المجلس قد عرفه خطيباً حتى ذلك العهد بل كل ماعرف عنه أنه قام بواجبات المناصب التي عهـد اليه فيها خير قيام

صورة زوجته وكان اسمها قبل الزواج المس كاترين جلين

فجعل يفند الميزانية باباً باباً بهـدوء ودقة وشدة لا تعرف هوادة ويعرض موادها المالية لهزء النواب وسخريتهـم . ثم انتقل من ذلك البيان الهادىء الى شخص الوزير فقال يخاطبه وقد دبت الحماسة فيه ورفع صوته الى أعلى من نغمته الطبيعية :

« ولا بد لي هنا من أن اقول للعضو المكرّم أنه لا يحق له أن يتهم بالوقاحة رجالا يساوونه في المنصب والاخلاق . ولا بد لي أن اقول له أيضاً انه مهما يكن قد تعلم ــ وقد تعلم كثيراً ــ فانه لم يتعلم المحافظة على حدود الفطنة والاعتدال وطول الاناة التي يجب أن تكبح جماح كل عضو من أعضاء هـذا المجلس وتمنعه التمادى في سلوكه وكلامه . والخروج على هذه الخلال ذنب يصم الاقل فينا فاذا ركبه قائد هذا المجلس كان ذنبه عشرة أضعاف »

فكان هـذا التعنيف كأنه القضاء المبرم على الوزارة المتربعة فى دست الاحكام أو كأنه ناقوس جنازة ميزانيتها كما قال الانجليز حينئذ لان المجلس رفضها فسقطت الوزارة . وكان هذا الحادث بدء محاولة سياسية طويلة الامـد بين القرنين لم تخف حتى انتقل دزرايلي الى مجلس النبلاء بعد الانعام عليه بلقب لورد بيكونسفيلد وذلك بعد نحو ربع قرن تقريباً

وكان دزرايلي يفوق غلادسـتون في ظرفه وكثرة نكاته وملحه وقرص لسانه . وعرف

غلادستون بالاطناب وكثرة الحشو واللغو في خطبه أحياناً ومع ذلك فلم يحل هذا مرة واحدة دون توجه المجلس بكليته اليه لمقدرته الخطابية وصفاء ديباجته وجهر صوته حتى كان يملأ جوانب المجلس فلا تفوت سامعيه كلمة من خطبه . أضف الى ذلك شيئاً كثيراً من السحر والترفع والاخلاص الشفاف مما اضطر سامعيه أن يصغوا اليه تمام الاصغاء . أما تدفقه في الكلام فما قلّ نظيره ومما جعل العارفين يعدونه من أعظم الخطباء فى العصور الحديثة .

صورته يخطب لاول مرة فى البرلمان مدافعاً عن ابيه وكانت له زراعة فى دمارارا قبل بتكاثر الوفيات بين العبيد من عمالها فاعترض غلادستون ذلك

ومما وصفه به دزرايلي قرنه «أنه كان يُحمَل احياناً بسيل كلامه المتدفق» ولكنه كان يحمِل معه سامعيه كما قال أحد الظرفاء رداً على نكتة دزرايلي . وكانت تلقى اليه الاسئلة تباعاً من كل جهة وهو متدفق في كلامه فيجيب عنها بحضور ذهن مدهش ثم يستأنف كلامه كأن لم ينقطع خيطه بل حبله وزنجبره . وقد يشير أحد سامعيه اشارة عدم موافقة على قولة من اقواله فيرد عليه غلادستون بسيل من الاسئلة والردود يغرق المعترض

واشهر ما اشتهر به سعة اطلاعه سواء اخطب في مجلس ديني أو جمعية زراعية أو مدرسة أو مجتمع من رجال الاعمال والاشغال وكان حيث وجد يحتكر الكلام فلا يترك مجالا لقائل. وقد أثارت عليه هذه الخلة حنق صديقين له فدبرا عليه مؤامرة في احدى الولائم يتمكنان بها من تسلم أعنة الكلام وتركه خلفهما مقصراً يتعثر باذياله . وأول صعوبة عرضت لهما الاهتداء الى موضوع لا

يعرف عنه الشيء الكثير فتناولا مجلة قديمة وجعلا يقلبانها فعثرا على مقالة في الشطرنج وقدمه فدرساها وحفظا ما فيها

وفي أثناء الوليمة فتحا موضوع الشطرنج وقالا فيه كل ماحفظاه من المقالة ثم التفتا الى غلادستون واستطلعاه رأيه في الموضوع فقال :

« يظهر لي أيها الصديقان من كلامكما أن لا بد أن تكونا قد قرأتما مقالة كتبتها في أحدى المجلات القديمة عن الشطرنج وقدمه » ! !

واتفق مرة أخرى أنه دعي الى وليمة في منزل احد اصدقائه فاستحسنت ربة المنزل أن تجلسه على المائدة بجانب سيدة كانت أم خصم من الدّ خصومه السياسيين عداء له . وذلك في زمان كان عداؤهما السياسي على اشده . وكانت السيدة قد تلكأت عن الحضور ولم تحضر الا بعد الحاح شديده

وبعد انتهاء العشاء سئلت « كيف وجدت حديث غلادستون ؟ » فاجابت « لم اسر في عمري بحديث سروري بحديثه . فقد كلمني طول مدة العشاء ولا ازال اعتقد أنه تعس ولكنه أظرف التعساء الذين خلقهم الله » ! !

***

ولد المستر غلادستون في اواخر سنة ١٨٠٩ وكان صدى انتصار بونابرت على النمسويين في معركة وجرام لا يزال يرن في الآذان وكان ابوه تاجراً كبيراً انعم عليه بلقب سر . فدخل كلية ايتون من كليات أوكسفورد ثم دخل الجامعة فنال الجائزة الاولى في الرياضة والاداب وهو نجاح ندران تيسر لاحد

وبعد خروجه منها طلب منه دوق نيوكاسل أن يرشح نفسه للانتخاب عن نيوارك من قبل حزب المحافظين فقبل بعد الحاح ابيه عليه وانتخب سنة ١٨٣٢ وكان عمره ٢٣ سنة ولكنه عاد فانقلب على المحافظين منذ نادوا بحماية التجارة وانضم الى صفوف الاحرار وبقي المحافظون مدة طويلة يعللون أنفسهم بعوده الى حظيرتهم . ولكنه بدلا من أن يعود الى تلك الحظيرة أصبح عما قليل صخرة الاحرار التي تحطمت عليها سفينة المحافظين فضاعت جميع احلامهم وآمالهم

عيره المحافظون في مجلس النواب ذات يوم تغيير خطته وانقلابه من محافظ الى حر

فاجاب : دخلت صفوفكم كمنبوذ ومرفوض من صفوف اولئك الذين كنت اشاطرهم الاراء والافكار . واني اقر وأعترف باني خرجت من تلك الصفوف طوعاً لعوامل بطيئة ملحة من التشويق والاقناع لا طوعاً لعمل استبدادي جائر . فلم يكن عندي ما أقدمه اليكم غير الخدمة الصادقة الامينة . فانزلتموني على الرحب والسعة وعاملتموني باللطف والتسامح وكرم الاخلاق بل بشيء من الثقة . واتخذت العلاقة بيننا شكلا لا يمكن ان تكونوا فيه مدينين لي بل أنا المدين لكم الى الابد »

وفي سنة ١٨٣٣ خطب خطبته الاولى في مجلس النواب وهي التي ينعتونها بالخطبة البكر ووقعت في نفوس الاعضاء احسن وقع . وبعدها بسنة الف لورد بيل الوزارة فعين المستر غلادستون وكيل الخزينة ثم عين وكيلا للحربية والمستعمرات فبقي في هذا المنصب بضعة أشهر فقط لان وزارة بيل سقطت

صورة غلادستون كهلا

وبعد ذلك بست سنوات الف بيل الوزارة للمرة الثانية فعين غلادستون وكيل ديوان التجارة ثم رقي سنة ١٨٤٣ الى رآسة الديوان فدخل بذلك الوزارة . ومن آثاره في هذه المناصب أنقاذ أهل ارلندا من المجاعة بالغاء القوانين المعروفة باسم قوانين القمح فبات القمح يدخل البلاد من غير ان تؤخذ عليه رسوم ما

وفي شتاء سنة ١٨٥٠ ــ ١٨٥١ زار نابلي في ايطاليا فكتب رسائل يحتج فيها على سوء معاملة المسجونين السياسيين في السجون فكان لها أعظم وقع في انجلترا وسائر اوربا ولم يمض الا القليل حتى أصلحت معاملتهم واعترف غريبالدى جهرا بان توسط غلادستون نفعه أعظم نفع في حرب الحرية التي كان يدافع عنها

وبعد ما اعلن تشبثه بمبدإ حرية التجارة قطع علاقته بمركز نيوارك الذي كان ينوب عنه في المجلس فانتخبته جامعة اوكسفورد نائبا عنها في الانتخاب التالي

وكان على اثر انتصاره على دزرايلي سنة ١٨٥٢ (وهو الانتصار الذي تقدمت الاشارة اليه في صدر هذا المقال) ان لورد ابردين الف وزارة ائتلافية عين فيها المستر غلادستون وزيرا للمالية ولم يلبث أن عرض على المجلس أول ميزانية له . وقد ضمنها بنوداً قصد فيها

الى ارخاص نفقات المعيشة بأنزال اثمان الحاجات فارتفعت مكانته الاقتصادية في العيون وعد بعدها من عظماء رجال المالية في انجلترا . ودافع عن ميزانيته بخطبة دامت خمس ساعات حتى « خاف أن يلتفت الى الساعة » كما قال فيها

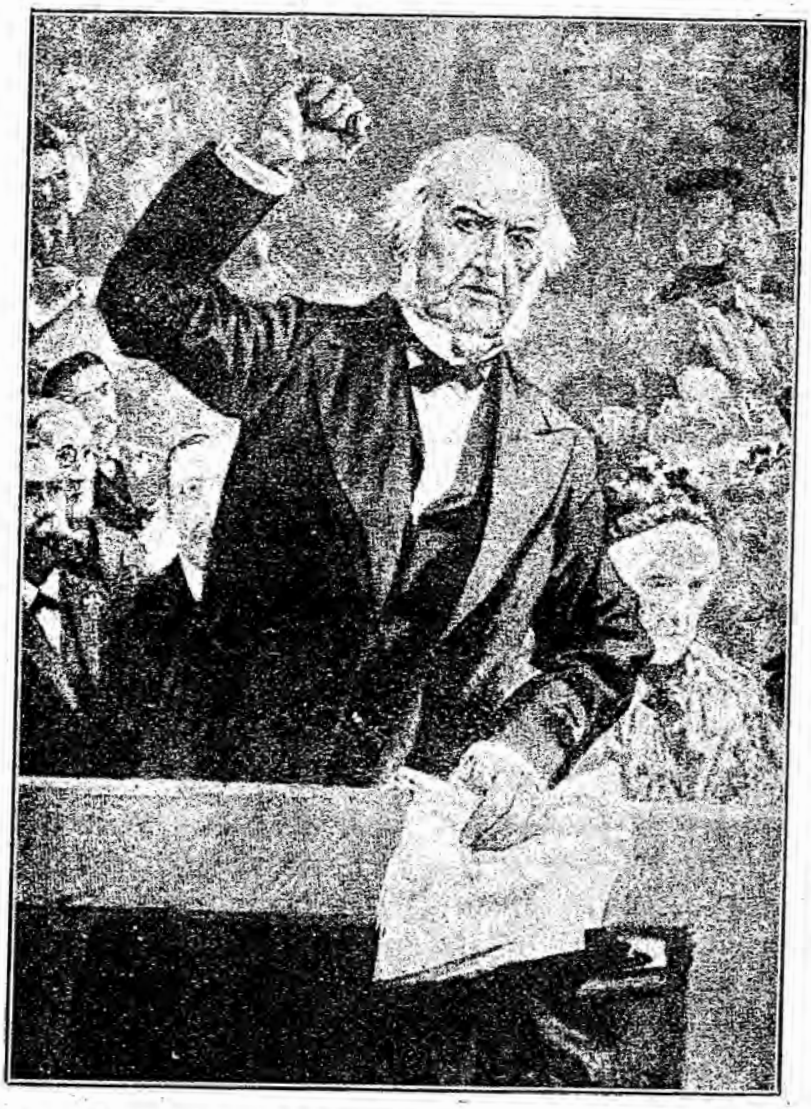

صورة غلادستون شيخاً هماً يخطب في خريف سنة ١٨٩٦ في لفربول متبجحاً المذابح الارمنية وذاما الذين كانوا السبب فيها . وكانت آخر خطبة عمومية خطبها

وفي سنة ١٨٥٨ ارسله لورد دربي الى الجزر اليونانية ليحول دون ضمها الى اليونان اذا كان ذلك مستطاعاً ففشل وعاد الى انجلترا . ولما قامت وزارة بامرستون عين وزيراً للمالية ولكنها كانا دائمي الاختلاف وقلما اتفقا على شيء . وفي أثناء توليه لهذا المنصب ألغى ضريبة الورق فبات شراء الكتب والصحف في متناول أفقر الفقراء وكان قد عرف واشتهر أنه بات حراً قلباً وقالباً فلما

اعتزل اللورد رصل سنة ١٨٦٧ انتخب المستر غلادستون زعيما للاحرار وفي السنة التالية عين رئيساً للوزارة لاول مرة وبقي في الرآسة الاولى سبع سنوات أدخل فيها اصلاحاً كثيراً ولاسيما في ارلندا . ومن وجوه هذه الاصلاح سن القانون المعروف باسم قانون « دستابلشمنت » وهو قانون كان شعب ارلندا الكاثوليكي يخضع بموجبه لاحكام الكنيسة البروتستنتية الاسقفية . ثم سن قانون الاراضي الارلندية وهو قانون حرم به اخراج الفلاحين المستأجرين للاراضي من أراضيهم التي يحرثونها ويزرعونها

ومن وجوه الاصلاح التي أدخلها ادخال الاقتراع السري في الانتخابات بدلا من الاقتراع الجهري المشهور بعيوبه الكثيرة . واعانة الحكومة للمدارس الابتدائية بالمال . وإزالة العقبات الدينية في سبيل دخول الجامعات

ومنها تسوية الخلاف المعروف بخلاف « ألاباما » فاصلح بها ذات البين بين انجلترا واميركا. وخلاصة الحكاية أن سفينة شراعية انجليزية اسمها « ألاباما » آذت تجارة الولايات الاميركية الشمالية ايذاء كثيراً مدة حرب أميركا الاهلية فطالبت أميركا انجلترا بدفع تعويض فرفضت وزارات انجلترا المختلفة اجابتها الى طلبها . فلما تولى المستر غلادستون رآسة الوزارة درس المسئلة فعلم أن أميركا على حق فانفذ لجنة الى وشنطن اتفقت مع الحكومة الاميركية على عرض الخلاف للتحكيم فحكم لاميركا على انجلترا

وفي سنة ١٨٧٥ تخلى المستر غلادستون عن قيادة حزبه فجأة فدهش أهل انجلترا لذلك وزال بعض ذلك الدهش لما ذاع وشاع أنه طلق السياسة وهو يريد التفرغ لدرس اللاهوت ولكن جرت الانتخابات العامة سنة ١٨٨٠ على أثر استياء البلاد من سياسة الحكومة الخارجية وكان بيكونسفيلد على رأسها فخذل هذا وعهد الى غلادستون في تشكيل الوزارة للمرة الثانية فبقي في منصبه خمس سنوات

ذلك أنه في نهاية الخمس السنوات جاءت الانباء بقتل غوردن في الخرطوم وبأن السودان بات تحت رحمة المهدي فجزعت البلاد لذلك النبأ وهوجم غلادستون من كل جانب على توانيه في ارسال نجدة لانقاذ حامية الخرطوم . وحال هيجان الرأي العام دون استماع الاعذار ولاسيما أن القوم كانوا ينظرون الى غوردن نظراً عالياً فاعتقدوا أنه راح ضحية سياسة التواني والاهمال فتنفسوا الصعداء بعض الشيء لما استقال غلادستون سنة ١٨٨٥ وتنفس هو الصعداء معهم

وفي خلال وزارته الثانية هذه حدثت الفتنة العرابية وضرب الاسكندرية واحتلال الجنود الانجليزية للقطر المصري

وفي سنة ١٨٨٦ الف وزارته الثالثة وأعظم أعماله فيها وأشهرها سعيه في انالة أرلندا الاستقلال الاداري المعروف باسم « هوم رول » فادخل الى مجلس النواب مشروع قانون الهوم رول الاول . ولكن مع عظم اخلاصه وبلاغته وما أوتي من المواهب السامية لم يستطع اقناع المجلس بانه آن أوان إعادة البرلمان الارلندي . فعارضه خصومه وفئة كبيرة من أنصاره فرفض المجلس

صورة قلعة هواردن وهي منزل غلادستون المشهور في شمال وايلس

المشروع . وعلى الاثر ألف معارضوه من انصاره حزباً مستقلا سموا أنفسهم الاتحاديين الاحرار أولا ثم الاتحاديين وكان أشهرهم المستر جوزف تشمبرلن أبو المستر اوستن تشمبرلن الذي اشتهر حديثاً في مؤتمر لوكارنو

فاستعفى المستر غلادستون على أثر ذلك واعتزل السياسة ست سنوات ثم دعي لتشكيل الوزارة للمرة الرابعة سنة ١٨٩٢ بعد انخذال وزارة لورد سولسبري . وفي السنة التالية عرض على مجلس النواب مشروع قانون الهوم رول الثاني ففاز بحمل المجلس على الموافقة على هذا المشروع ولكن مجلس النبلاء رفضه . فاستعفى من خدمة الحكومة والامة في أوائل

سنة ١٨٩٤ .وكان قبل استعفائه بيومين قد خطب خطبة بليغة أشار فيها بوجوب اصلاح مجلس النبلاء

ومما يدل على نكرانه لنفسه أنه لما استعفى من رآسة الوزارة سنة ١٨٧٥ رفض أن يجرى عليه معاش كما رفض من قبل اقتراحاً بزيادة راتبه مع أنه اضطر الى الانتقال من قصره الى منزل أصغر منه والى بيع مجموعته الثمينة من الصيني الفاخر اقتصاداً في النفقة

ومن ذلك أنهم ألحوا عليه غير مرة فى قبول لقب لورد فابى مفضلا البقاء عضواً في مجلس النواب

وتوفي في مايو سنة ١٨٩٨ بعد ما بقي عضواً في مجلس النواب ستين سنة وقائداً للاحرار ثلاثين سنة وبعد ما تولى رآسة الوزارة أربع مرات

حكم في البكاء على الميت

قال بعضهم : لا يكون البكاء إلا من فضل فاذا اشتد الحزن ذهب البكاء . وانشد :

فلئن بكيناه لحق لنا ولئن تركنا ذاك للصبر
فلمثله جرت العيون دماً ولمثله جمدت ولم تجر

ومر الاحنف بامرأة تبكي ميتاً ورجل ينهاها . فقال له دعها فانها تندب عهداً قريباً وسفراً سعيداً

ومر النبي بنسوة من الانصار يبكين ميتاً فزجرهن عمر . فقال له النبي دعهن يا عمر فان النفس مصابة والعين دامعة والعهد قريب

وقال عمر بن الخطاب : ما هبت الصبا الا وجدت نسيم زيد (ابنه) . وكان اذا أصابته مصيبة قال : قد فقدت زيداً فصبرت . وكان زيدقد استشهد باليمامة وصحبه رجل من بنى عدي ابن كعب فرجع الى المدينة . فلما رآه عمر دمعت عيناه وقال « وخلفت زيداً ثاوياً واتيتني »

وقال الفرزدق :

ألم تر أني يوم جد سويفة بكيت فنادتني هنيدة ما ليا
فقلت لها ان البكاء لراحة به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا
نعيتكما الله الذى انتما له ألم تسمعا بالبيعتين المناديا
فجيب دعا والرمل بيني وبينه فاسمعني سقياً لذلك داعيا

سكان الارض

وزيادة عددهم فى المستقبل

ينشأ سوء التفاهم بين الامم عن جهلها بعضها لبعض. وسوء التفاهم يجر معه الخوف والحسد والبغضاء والحرب . فاذا عرف الناس انهم يرجعون الى اصل واحد وان وجوه الشبه بينهم اظهر بكثير من وجوه الاختلاف وعملوا بما تقتضيه هذه المعرفة زالت أسباب سوء التفاهم وأصبح الكل يداً واحدة في استثمار الارض وجنى خيراتها

واستثمار الارض هذا أعظم معضلة امام المجتمع . فقد كان الانسان في عهد بداوته الاولى وعهد أدواته وآلاته البسيطة لا يستثمر الارض الا بمقدار ووجد بالخبرة انه لا يستطيع ان يخرج من الطعام ويدبر من المأوى ما يكفي النسل الذي يلده وهذا هو سبب الغزوات البربرية الكبرى في التاريخ . فانه لما انحدرت القبائل البربرية منذ آلاف السنين من الشمال اوالشرق الى السهول المحروثة في جنوب اوربا وابادوا حضارة لم يتذوقوها ولم يفقهوا لها معنى كان ذلك لانهم تضاعفوا حتى ضاقت بلادهم دونهم وعجزت عن ان تقدم ما يكفيهم من الزاد فخرجوا يطلبون أسباب الرزق في بلاد أخرى . فهكذا غزت قبال الشمال انجلترا والغاليون فرنسا واللمبارديون ايطاليا

ونحن في عصرنا الحاضر لسنا سليمين من أمثال هذه الغزوات فان من المسائل التي تشغل بال الامم والدول نمو سكان اليابان . وجزر اليابان صغيرة وفيها٥٦ مليون نسمة وهي كل يوم تزدحم بأهلها فلذلك نجد اليابانيين يطلبون مستعمرات لايواء الذين لا يجدون منهم متسعاً في البلاد

ومن أغرب أمور هذه الارض ان سكانها بقوا حتى العصور الحديثة قليلا عديدهم ثم جعل النسل الابيض يزداد بسرعة . فقد كان عدد سكان الجزر البريطانية سنة ١٧٦٠ نحو١٠ ملايين نسمة وهم الآن ٤٧ مليوناً . أي ان عدد سكان تلك الجزر لم يزيدوا في جميع العصور والادهار التي مرت على الانسان منذ صار انساناً على عشرة ملايين ثم صاروا ٤٧ مليوناً أي زادوا ٣٧ مليوناً في ١٦٠ سنة . هذا امر غريب لا يصدق لو لم يكن امراً واقعيا ثابتاً

ومثل انجلترا غرابة اميركا فقد بقيت زماناً طويلا ليس فيها ديار ولا نافخ نار ثم جاس

خلالها نفر من الهنود الاميركيين وجابوا سهولها الخصبة الواسعة ولكنهم لم يحسنوا الحراثة والزراعة حتى لم يكادوا يجدون فيها ما يسد رمقهم . وكثيراً ما عضهم الجوع بنابه على قلة عديدهم وسعة بلادهم ووجدوا أخلاف الرزق مطمورة في ارضها الغنية لا تجد من يستدرها . ثم قدمها الرجل الابيض من أوربا وكان يعرف الحراثة والزراعة فتما سكانها ولكنهم بقوا قليلين ولم يزد عددهم سنة ١٨٤٠ أي في أوائل عهد الانسان باستعمال البخار — على ١٧ مليوناً . ثم صاروا ٣٩ مليوناً سنة ١٨٧٠ واليوم يزيد على مائة مليون . أي ان عدد سكان أميركا زادوا من ١٧ مليوناً الى ١٠٦ ملايين في خلال ٨٢ سنة

وهذا هو حال سائر الامم البيضاء الا فرنسا. وزيادة عدد البيض في أوربا وأميركا يقلل أرجحية عدد سكان آسيا ومع ذلك فلا يزال سكان آسيا نصف سكان الارض عدداً . وسبب ازدياد السكان فى انجلترا وأميركا مثلا اختراع الآلات الحديثة التى مكنت الانسان من زرع الارض وصنع البضائع على قدر كبير وارسالها من مكان الى اقصى مكان فى وقت قصير

ولا يعلم عدد سكان الارض تماماً الآن لأن الامم العالية الكعب في المدنية هي التي تعنى العناية الواجبة باحصاء السكان وتدقق فيه واما البلدان الاخرى فلا يعرف سكانها الا على سبيل الحدس والتخمين ولكنهم يقدرون اجمالا ان سكان العالم يبلغون ١٨٠٠ مليون منهم نصفهم في قارة آسيا . ويلي آسيا اوربا وفيها ٥٠٠ مليون . ثم اميركا الشمالية والجنوبية وفيهما ٢٢٠ مليوناً فافريقيا وفيها ١٥٠ مليوناً فاستراليا وما اليها من الجزر وفيها ٧ ملايين فقط

فمن هذا يرى عظم الفرق فى الازدحام بين اجزاء الارض المختلفة وليس السبب في ذلك ملاءمة الاقليم أو عدم ملاءمته فقط . فان صحاري افريقيا وداخلية استراليا والاراضى المحيطة بالقطبين لا تصلح لسكن الانسان في حين ان هناك مساحات واسعة من الارض الخصبة الريانة التي تصلح للسكن وتسع مئات الملايين ولكن سكانها الآن قليل

ومن أغرب البلاد من حيث ملاءمته للسكن استراليا فقد شبهها بعضهم بثمرة ذات نواة قلبها لا يصلح لشيء اذ تشغله صحارى لا آخر لها واطرافها مثل أشهى البلاد للسكن . وهذه الاطراف أو الحاشية التى تصلح للسكن اعرض ماتكون من جهة الشرق . وكثير من أراضيها التى لا تصلح لشيء الآن قابل للاصلاح . وقد احصي سكان استراليا سنة ١٩٢١ فبلغوهم وسكان تسمانيا ٥½ مليون في حين ان سكان لندن وضواحيها ٧½ مليون . ومن سكان استراليا مليون و أكثر في مدينة سدني عاصمة نيوسوث وايلس وملبورن عاصمة فكتوريا

ونيوزيلندا تبعد ١٢٠٠ ميل عن استراليا ومساحة أرضها تساوى مساحة اليابان ولكن بينا نجد سكان اليابان يبلغون ٥٦ مليوناً نجد ان عدد سكان نيوزيلندا لا يزيدون على ١٢٠٠٠٠٠ . وهواء نيوزيلندا بديع وتربتها خصبة ويقدرون لها مستقبلا زاهراً عاجلا أوآجلا فتزدحم بالسكان وتصبح موطن أمة عالية الكعب فى العمران . وقد تخيل مكولي يوماً يزهو فيه عمران نيوزيلندا ويتضاءل عمران انجلترا فيزور رجل مثر من أهلها مدينة لندن ويقف على خرائبها واطلالها . وليست هذه الصورة بمستحيلة وان تكن بعيدة الاحتمال ولكن مما لا ريب فيه ان سكان نيوزيلندا يصبحون فى أواخر هذا القرن عشرة أضعاف ما هم الآن

وهذا الحكم يصح على بلدان أخرى كثيرة وفى جملتها كندا فان سكانها الآن ٧ ملايين ومساحة أرضها ثلاثة ملايين ميل مربع . فهى تسع مئات الملايين ولا بد يوماً ان تشتمل عليهم. وكذلك البلاد الحارة التى لا تصلح لسكنى الرجل الابيض الآن لكثرة امراضها وأراضيها الغامرة التى هى مباءة لبعوض الملاريا ولأن وسائل المعيشة المنظمة غير موفورة فيها . فكما أصلحت أراضي بناما فصارت تصلح لسكن الرجل الابيض كذلك يمكن اصلاح غيرها من الاراضي الغامرة بتجفيفها واعدادها للسكن والزراعة فتتكفل باطعام الملايين من الناس ولا سيما ان زرع اراضيها ميسور على مدار السنة

ومنذ مائة عام أو نحو ذلك قام رجل انجليزي اسمه ملثس ونادى بمذهب جديد بشر فيه الناس بالخراب لانهم يزيدون زيادة لا تناسب زيادة طعامهم . وقد كان مذهبه صحيحاً لو بقيت احوال الناس الآن كما كانت في عصره ولكنه معذور في تشاؤمه وعذره انه لم يحسب حساب المخترعات التى بدلت وجه الارض وسهلت حرثها وزرعها ونقل حاصلاتها من صقع الى صقع على أهون سبيل وبأسرع مما حلم به الحالمون أو تكهن المنجمون أو تخيل الساحرون .فليست سكك الحديد والطيارات والبالونات والتلفون والتلغراف الا مترادفات لبساط الريح وخاتم المارد وقبع الاخفاء وغيرها مما كان يحسب خرافات واضغاث احلام حتى عهد قريب

وقد مضى اليوم ١٢٤ عاماً على اعلان ملثس لمذهبه وسكان العالم اكثر بكثير مما كانوا فى عصره ولا نزال نجد رجالا مثله يبشرون العالم بالخراب لكثرة الازدحام وقد كان ملثس معذوراً وهم لا عذر لهم . وهناك ما يحمل على الاعتقاد ان الارض تسع وتعول من السكان بضعة اضعاف ماتسع وتعول الآن لأن هناك اراضى واسعة تصلح للسكن والعيشة كما تقدم

(البقية على الصفحة التالية)

ترويض الافيال البرية

هذه مقالة تعلمك بصورها لا بكثرة كلامها كيف تروض الفيلة البرية بعد صيدها وتصبح اليفة مستأنسة فى مدة وجيزة

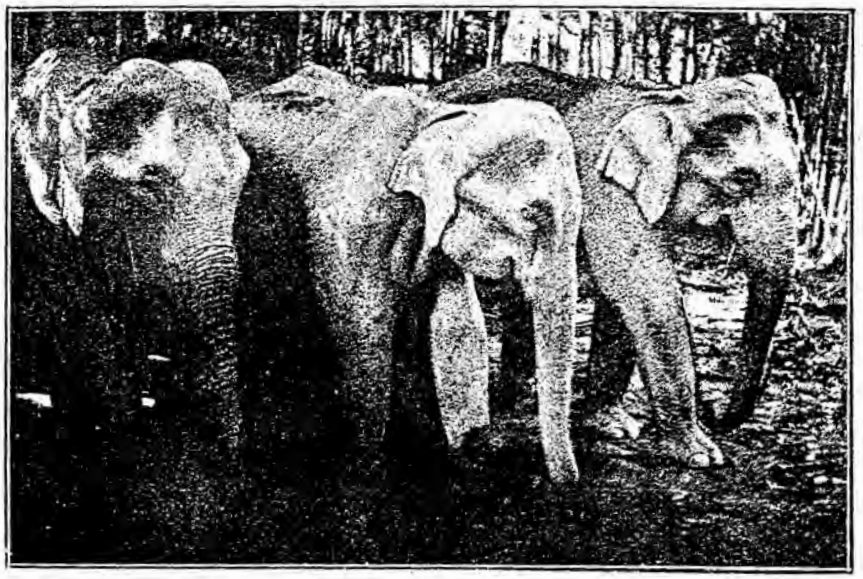

تريك هذه الصورة ثلاثة أفيال برية في الهند بعد أسرها بيوم واحد . وطريقة أسرها هى أن يخرج الصيادون الى الادغال في طلبها فاذا شاهدوا قطيعاً منها عن بعد اقاموا سياجاً من أوتاد وعلى شكل الرقم ٧ واستاقوا القطيع نحوه بالضرب على الاشجار المحيطة به واضرام النار وبعد أسرها بيوم أو يومين يقصدها الصيادون راكبين فيلة اليفة ويلقون الحبال على

(تابع المنشور على الصفحة نمرة ١٣٦٩)

القول ولأن الوسائل العلمية تسهل سبل العيش على الانسان وتوسعه عليه فيخرج الفدان اكثر مما يخرج الآن ويستخرج الطعام رأساً من الارض والهواء والماء

وليس بمستنكر ان تسع كل من اوربا واميركا وآسيا الف مليون نسمة وتعولهم بسهولة وكل من افريقيا واستراليا ٦٠٠ مليون فيصير عدد سكان الارض ٣٦٠٠ مليون أو ضعفى ما هو الان

واحد أو اثنين منها ويجرونه الى خارج السياج ويربطون قوائمه الى الشجر ويتركونه على هذا الحال حتى يضعف وتلين عريكته بعض الشيء ثم يرسلونه الى مروض خاص لتربيته وتعليمه

* * *

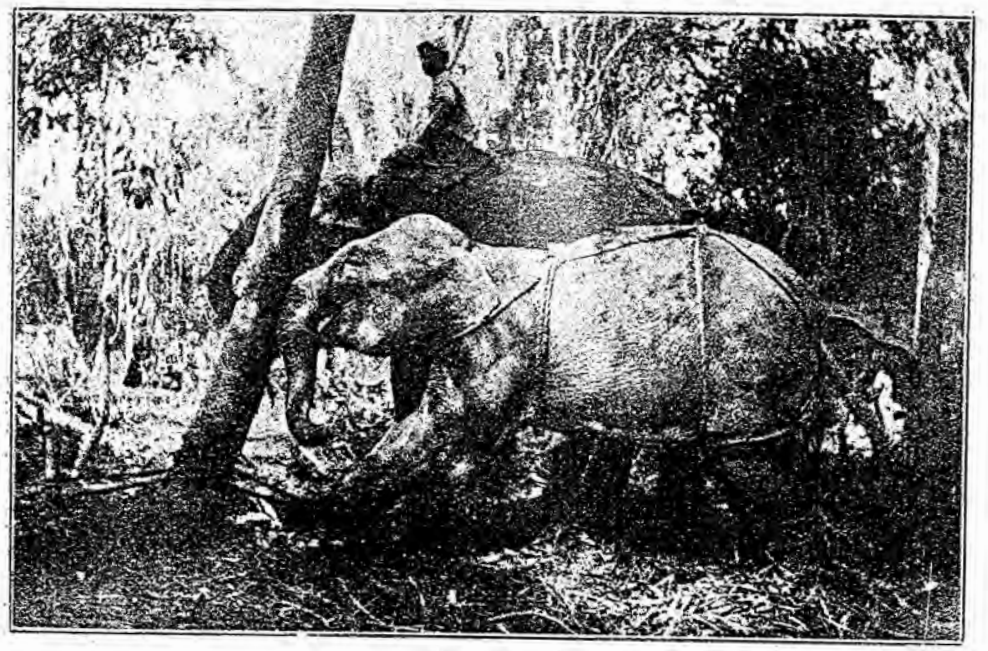

وقبل ذلك أي مدة أسر الفيل وتقييده يبذل مزيد الجهد في الخلاص من الأسر فيقيم الدنيا ويقعدها ويحاول تقطيع الحبال عبثاً ويثير التراب ويكثر من الولولة والصياح كما ترى في هذه الصورة ثم يسلم بالامر الواقع بعد نفاذ حيله وقوته. ولا يمضي عليه أكثر من ثلاثة أسابيع بعد ترويضه حتى يبيت طائعاً سهل القياد

* * *

في الصورة التالية فيلة ترضع فصيلها وهي واحدة من قطيع كبير أسر ثم روض واحداً فواحداً . ويبلغ القطيع ١٥ فيلا الى السنين وهو يتولى حماية صغار الفيلة من النمرة وغيرها من حيوانات الادغال الكاسرة . فاذا كان يرعى مشى في طليعته انثى من أناثه على الغالب ولكن اذا شعر بخطر تقدم الذكور الى الطليعة « وتركوا » الامات والاطفال « خلفهم » . والفصيل يستعمل فمه في الرضاعة لا خرطومه ومدة رضاعه ستة أشهر الى تسعة ثم يفطم على نبت القنا وعساليجه الغضة والاثمار وقصب السكر وينمو بمعدل بوصة في الشهر حتى يبلغ الثالثة ولا يزال ينمو حتى

سن البلوغ وهي السنة الخامسة والعشرون او الثلاثون . ويعمر الى المائة

* * *

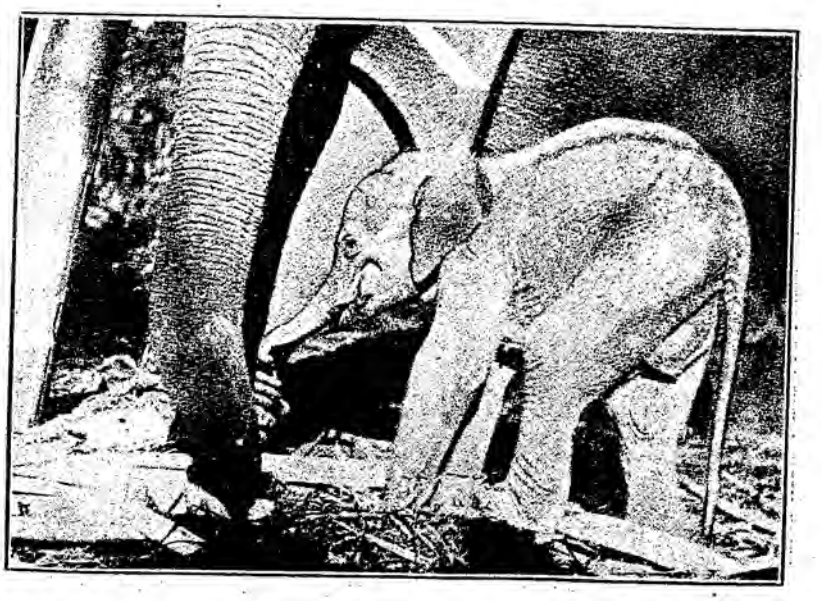

في هذه الصورة فيل اجهضته أمه بعد أسرها بثلاثة أيام فكان وزنه بعد الاجهاض ١٥٠ رطلا مصرياً وكانا كلاهما حسنى الاخلاق لم ترعها البيئة الجديدة التي وجدا فيها لكن الطفل كان كثير الصخب يرفع عقيرته بالصياح والزعيق لاقل طارىء يطرأ

التوائم ولغز الحياة

يظن العلماء أنه اذا وجد توأمان بشريان متشابهان كل التشابه امكنهم حل لغز الحياة . وهذا اللغز في عرف العلم هو نسبة الوراثة الى الوسط أو المحيط في تكييف الاحياء وتعيين اشكالهم وصورهم المختلفة . وهنا أسئلة لا بد من الجواب عنها قبل حل ذلك اللغز وهي : هل أنت ما أنت لانك ورثت صفات لا قبل لك بمقاومتها أو تغيير شيء منها ؟ أم هل أنت نتيجة فعل الاحوال المحيطة بك وهي ما اعتدنا تسميته بالوسط أو المحيط ؟ أم هل أنت مزيج من الاثنين ؟ وان كان ذلك فعلى أية نسبة أى ما هي نسبة الوراثة الى المحيط في تكوينك وتكوين صفاتك وأخلاقك ؟

وإذا سألت العلماء هذه الاسئلة أجابوك اعطنا توأمين وأعرنا اياهما عشرين سنة أو نحو ذلك نجرب التجارب فيهما ونحن كفيلون بالجواب عن الاسئلة فى نهاية تلك المدة

ولما لم يعطوا أمثال هذه التوائم عمدوا الى توائم من الحيوانات وامتحنوا نظرياتهم فيها فاكتشفوا كثيراً من الحقائق الفسيولوجية المهمة دون العقلية لأن هذه تتطلب لدرسها أطفالا من الناس يظهر أثر التجارب فيها على كلامها وحركاتها المبنية على العقل . ولا ينفع لهذا الدرس توائم خلقت في زمن واحد بل لا بد من توائم تكونت من أنصاف الخلايا الواحدة لأن الوراثة فيها واحدة على مذهب الاستاذ فايرتشيلد الاميركي . فاذا تمكن العلم من معرفة الخصائص التى تبقى فيها هذه التوائم واحدة مدى العمر على الرغم من تربية كل توأم فى وسط مختلف كل الاختلاف عن الوسط الذي ربي فيه الآخر عرفنا اذ ذاك أى الخصائص ورائي ثابت وايهما مكتسب منتقل متغير بتغيّر الوسط ووسائل التربية

فاذا جئنا بتوأمين من هذا الصنف وربيناهما منذ ولادتهما في مكانين مختلفين وفي أحوال متغايرة كل التغاير ثم فحصناهما بعد مضي مدة طويلة عليهما أمكننا اذ ذاك أن نعلم أي التغيرات فى جسميهما وصفاتهما العقلية والادبية ناشيء عن الطعام الذي يأكلانه والرياضة التي يتروضانها والجمعية التي يعيشان فيها والعمل الذي يعملانه — وبعبارة أخرى نعرف تأثير الوسط أو المحيط فيهما

قال بيولوجي شهير : من العجب العجاب الذي لا يكاد يصدق لو لم يكن حقيقة ملموسة أن خلية صغيرة القدر حتى لا ترى الا بالمكرسكوب تجمع بين جنبيها تلك الآلة الحيوية التي تعين كل شيء فينا بعد ولادتنا من لون عيوننا الى شكل أنوفنا الى حبنا للموسيقى وشغفنا

بالادب أو القانون أو العلم الى حدة الطبع أو لينه الى صفاتنا الخلقية ـ هـذه كلها نتوارثها من آبائنا وأسلافنا جيلا بعد جيل مجتمعة في هذه الخلية الصغيرة »

ولـكن ان كان للوراثة هذا الاثر الـكبير في تكوين الافراد فلم هذا الفرق كله بين الاشقّاء والشقائق وهم متسلسلون من أب واحد وأم واحدة وجد واحد وسلف واحد الى أبينا آدم الاول ؟ حتى ليجـد المرء أشقاء يكره بعضهم بعضاً ويختلف بعضهم عن بعض في كل شيء في الاخلاق والعادات والادواق والاعمال وسائر ما هنالك . فقـد يكون الشقيق مصوراً مشهوراً وشقيقه عاملا بسيطا أو يكون آية في الذكاء وشقيقه آية في البلادة . وهذا أيضاً هو شأن الشقائق فقد تكون احداهن غاية في الصلاح والجمال والاخرى غاية في الشر والقبح

اما العلم فيقول انه وان يكن الاشقاء أو الشقائق لهم اب واحد وأم واحدة ومصدر واحد يرتون الخصائص منه فان الخصائص الموروثة يمكن ان تتركب على ملايين من التراكيب والنماذج المختلفة . فالشقيق وشقيقته وان يكونا صادرين من أب واحد وأم واحدة يرثان صفاتهما على تراكيب مختلفة حتى كأنهما شخصان مختلفان لا جامع يجمعهما ولا وجه للشبه بينهما

وكثيراً ما يحدث أن الخلية الواحدة تنقدّ نصفين يتألف توأم من كل منهما . ففي هـذه الحالة يكون لنا توأمان صحيحان ورثا صفات واحدة على تركيب واحد أي أنهما يكونان عند ولادتهما نصفين لوحدة واحدة . فاذا أمكن فصلهما الواحد عن الآخر حينئذ واسكانهما في بيئات مختلفة كان لهذه التجربة فائدة عظيمة لان مسئلة الوراثة والوسط هي مسئلة سلوك الافراد جميعاً بعضهم نحو بعض وتصرفهم بازاء القوانين وآداب السلوك وقواعد التربية وغير ذلك . فاذا ثبت علمياً أن الوراثة هي المرجع الاخير في ٩٩ في المائة من تكويننا وجب لذلك نقض جميع القوانين وقواعد التربية ووضع أخرى مكانها

يؤتى برجل الى المحـكمة لـكونه سكيراً أو لصاً أو قاتلا فيشهد العلماء الخبيرون بانه سكير أو لص أو قاتل لأن فيه ميلا وراثياً الى السكر أو السرقة أو القتل وأن المحيط الذي يكتنفه لا يستطيع أن يغير شيئاً به . فان كان الامر كذلك فمن الظلم أن يعاقب على ما لا بد له من عمله . وقد يحكم عليه بالحبس لحماية الغير منه فلا يحسب من أجل ذلك رجلا شريراً بل رجـل سيء الحظ عاثر الجد كالمعتوه والمريض

ومثل ذلك يقال في موضوع التربية فانه اذا ثبت أن الوراثة هي العامل الاعظم فينا قضي على مبدإ حرية الارادة قضاء مبرماً وبدلا من أن يوضع للتربية والتعليم مقياس معين بناء على

القاعدة القائلة ان جميع الاولاد سواسية أو هم كذلك تقريبا لا فرق بينهم سوى أن هذا أذكى قليلا من ذاك وذاك أكثر اجتهاداً من ذلك كما هو الحال الا ن ـ يهدم هذا النظام من أساسه متى ثبت أن من الاولاد من هو بليد الفهم بفطرته فلا يمكن إصلاحه ويوضع مكانه نظام آخر يوفر على والدي هذا الولد وعلى الحكومة التي تقوم بنفقات التعليم في بعض البلاد كثيراً من النفقات والوقت فيعلم الولد أن يكون عاملا في الارض أو يمرن على الحرفة التي خلق لها . واذا اتفق أن كان له أخ ذكي بالطبع أمكن أن ينفق مال أكثر على تعليمه وشحذ ذكائه

ووجه الاختلاف بين العالم الذي يتخذ العلم لنفسه والمؤدب الذي لا يستطيع فصل أدب النفس عن العلم هو هذا :

اذا كان العلم علما حقيقيا بحث في أمر واحد وهو الوصول الى الحقيقة بلا نظر الى الفضيلة أو النقيصة وهل هي خير للناس أو شر ـ الحقيقة من أجل الحقيقة نفسها سواء أرفعت الانسان الى مراتب الآلهة أم انزلته الى درك الابالسة أم اثبتت انه حيوان كسائر الحيوان أم قالت بخلوده أم بفنائه . لكن المؤدب الحق الذي لا يستطيع أن يفصل الاخلاق عن العلم لا يستطيع ان يفهم نظرية العالم المتقدمة . وهذا هو سبب النضال القديم بين العلم والدين أو بين العلم والفضيلة

ولنعد الى التوائم فنقول أن التجارب اثبتت حتى الآن أن للوراثة التأثير الاعظم في التربية وقد خطر لبعضهم أن يسأل بضع مئات من التوائم اسئلة واحدة ويطلب منهم الجواب عنها فوجد أن بين التوائم الحقيقيين وجوها غريبة للشبه فى مشيتهم ورنة أصواتهم وتأثير بعض أصناف الطعام فيهم وقابليتهم للامراض . وكتب اليه توأمان يقولان أن اكل الموز يضرنا على السواء . ومنهم من كانت خطوطهم واحدة . هذا في وجوه الشبه الفسيولوجية . وأما العقلية فأدهى فقد وجد أن ما أحبه أحد التوأمين من العلماء وفروع العلم أحبه الآخر وما كرهه الواحد كرهه الآخر . فقد كتب اليه توأمان يبديان اعجابهما بالموسيقى بتهوفن . وآخران يبديان نفورهما من علم الرياضيات. وآخران أن لهما نقيصة واحدة. وآخران انهما يحلمان احلاماً واحدة وهكذا . ولما كان معظم هؤلاء التوائم قد عاشوا في بيئة واحدة تقريباً تعذر الحكم فى مقدار تأثير الوراثة أو البيئة فيهما

فاذا استطاع العلماء ان يربوا توأمين حقيقيين في بيئتين مختلفتين منذ الصغر الى ان يبلغا سن العشرين مثلا ثم يقابلوا بينهما فلعلهم يستطيعون حينئذ ان يهتدوا الى نتائج لا تعرف الآن ويكون بها فصل الخطاب فى تأثير الوراثة وتأثير البيئة والتربية أو كما يعبرون عنه بقولهم الطبع او التطبع

لا آخر للعلم

قال شارل نوردمان المخبير العلمي الذي يوافي المقتطف بمقالاته العلمية ان الحديد ليس حديداً والزنك ليس زنكاً بل انهما كليهما مركبان من عدد من « الايسوتوب » وهي ذرات اصغر كثيراً من الجوهر الفرد

وقد بسط هذا الاكتشاف فقال : هذه اللفظة يونانية معناها « ما هو في المكان عينه » وقد اضطروا الى نحت هذه اللفظة أو شقها ليصفوا بها مواد لم يكن وجودها يخطر على بال أحد من قبل ثم اثبت العلم ذلك الوجود

كان العلماء يظنون حتى أوائل هذا القرن ان المواد مركبة من جواهر يشبه بعضها بعضاً كل الشبه ولا يمكن تحويلها من مادة الى مادة ولكن اختبارنا في مدى العشرين أو الثلاثين سنة الماضية دلنا ان جواهر الراديوم تشع على الدوام ذرات كهربائية صغيرة هي جزء من مادتها وهذا الاشعاع يكون على صورة اطلاق هائل يشبه اطلاق القنابل من مدافعها

ثم عرف ان جواهر الراديوم هذه بعد ان تثور هذا الثوران وتنطلق هذا الانطلاق الهائل تتحول من مادة الى مادة أخرى اذ تصير جواهر مادة تختلف عن مادة الراديوم الاصلية كل الاختلاف في تركيبها الكيميائي ثم تنتج مادة تركيبها الكيميائي هو تركيب الرصاص بعينه لا يختلف عنه بشيء يشعر به حتى في الكيمياء

واليوم بلغ عدد هذه المواد اربعين مادة تولدت في الاصل من مادتين مختلفتين الواحدة عن الاخرى تمام الاختلاف وهما الاورانيوم والثوريوم

وكذلك وجد العلماء ان هذه الذرات المسماة بالايسوتوب موجودة في مواد غير المواد المشتقة من الراديوم فوجد استون ان في القصدير ثمانية أنواع مختلفة من القصدير . وهذه الانواع لا يمكن التفريق بينها كيميائياً ولكن تركيب جواهرها مختلف . ومثل هذا يقال عن الزنك فان فيه أربعة أنواع والكاسيوم فيه اثنان والزئبق ستة . فاذا اردنا ان نتكلم عن هذه المواد بالتدقيق العلمي وجب ان نشير الى كل منها بالجمع لا بالمفرد كما نفعل

وليس ببعد بعد هذا على العلماء ان يكرهونا على الكلام عن المعادن والجوامد بالالقاب كأنها أشخاص عاقلة فيقال لهذا صاحب العزة ولذاك صاحب السعادة ولذياك صاحب الفخامة الى ما آخر ما هناك

سكان الزهرة

ثار جدال بين الفلكيين فى هل في المريخ سكان وهل الخطوط التي ترى بالتلسكوب على سطحه طبيعية أم هي صناعية احتفرها أولئك السكان لاعمال الزراعة ؟ ولكنهم لم يتفقوا على شيء كما رأى القراء من مقالة نشرناها في الجزء الماضي

ومنهم فئة أخرى تقول ان الزهرة وهي أقرب الى الشمس من أرضنا بنحو ٣٠ مليون ميل هي السيار الوحيد بين سيارات النظام الشمسي الذي يصلح للحياة كارضنا . فلذلك زعموا

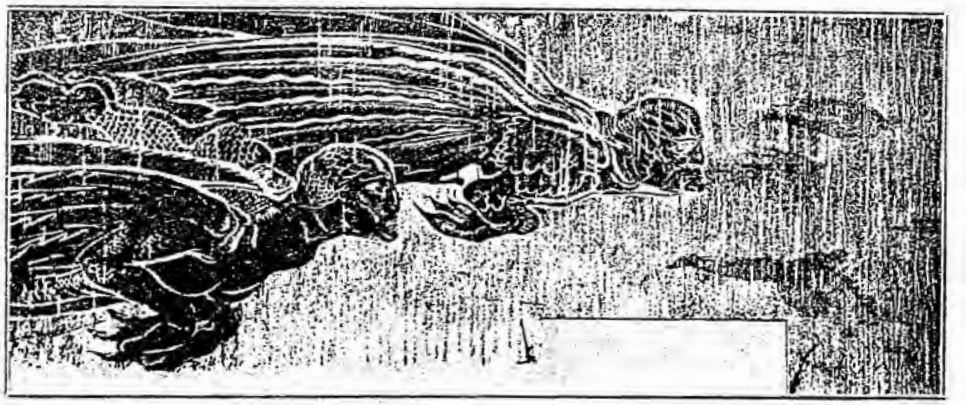

صورة تخيلية غريبة لسكان الزهرة كما تصورها أحد العلماء . وهى خلائق طيارة ذات أجنحة عظيمة القدر جلدها كثير الحراشف كالسمك ووجوهها تشبه وجوه الناس . ولما كان جو الزهرة متكاثف الضباب فلابد أن تكون تلك المخلوقات قد اخترعت جهازا لاسلكيا يهدى طيرانها فى جو الزهرة المدلهم . ولتعذرنا تلك الخلائق على الاشارة اليها بضمير غير العاقل الا اذا تبين أنها اخترعت ذلك الجهاز كما يقول العالم فهم حينئذ أعقل العقلاء وحينئذ نسحب ضمير غير العاقل

أن الزهرة مأهولة ولكنهم لا يعلمون شيئاً عن طبيعة أهلها وهل هم يشبهوننا وما هي وجوه الشبه والاختلاف

ومن أشهر العلماء الذين قالوا بان الزهرة آهلة بالسكان اريبيوس الاسوجي وهو يرى فوق ذلك أن الحياة موزعة في جميع الكون تبدأ بما يسميه « بذور الحياة » وهي تقوى على مقاومة البرد الهائل الذي يملأ الفضاء وتقع على سطوح الكواكب والعوالم ولكنه لا يقول لنا شيئاً

عن مصدرها الاول . ومما يقوله أيضاً ان البحث والاستقراء الطويلين أقنعاه بان المريخ لاسكان فيه بخلاف الزهرة

وقد فصل مذهبه هذا فقال ان متوسط حرارة أرضنا ٦٠ درجة بمقياس فارنهيت وان أعلى متوسط على الاستواء ٨٠ درجة . أما متوسط حرارة المريخ فنحو ٤٠ تحت الصفر (أو درجة الجمد) وأعلى حرارته لا تزيد على ٤٥ درجة ويكاد جوه يكون خاليا من الاكسجين . والفرق بين الحرارة على سطحه نهاراً وبينها ليلا عظيمة جداً بحيث لا يحتمله حي . وما سموه ترعاً ليس في الحقيقة الا شقوقا على سطحه كالتي ترى في أسوج وشرق افريقيا وكلابريا في ايطاليا . هذا فيما يخص المريخ وأما المشتري وزحل واورانوس ونبتون فلا يمكن أن تكون آهلة لمشابهتها للمريخ . وأما عطارد فلا يمكن كذلك أن يحوى سكاناً لان الشمس تشرق على جانب واحد منه دون الجانب المقابل . ففي الاول حمارة الحر وفي الثاني صبارة البرد

أما الاسباب التي حملته على الذهاب الى ان الزهرة آهلة فهي أن متوسط درجة الحرارة فيها ١١٣ درجة ولكن جزءاً كبيراً من حر الشمس تمتصه طبقة السحب الكثيفة التي تغلفها وتخفها ٣٠ ميلا . والحرارة على قطبيها معتدلة مما يبعث على الظن بوجود أحياء عالية فى سلم الحياة على سطحها

ولكن قد يقول قائل لماذا لم يقل أحد بان الزهرة آهلة قبل الآن بل كل ما قالوا ان المريخ هو الآهل وذهبوا فيه كل المذاهب؟ والسبب في ذلك أن سطح المريخ يرى واضحاً بالتلسكوب في حين أن سطح الزهرة لا يرى بسبب السحب الكثيفة المنعقدة في جوها . وهذه السحب هى سبب شدة لمعان الزهرة تحت أشعة الشمس المنعكسة عنها . ولولاها لرأينا سطح الزهرة كما نرى سطح المريخ لانها في دورانها حول الشمس تدنو منا أحياناً حتى تصير المسافة بيننا ٢٦ مليون ميل وهي ليست مسافة شاسعة جداً في عين الفلكى قياساً بما يعلم من مسافات النجوم الثابتة

وكثيراً ما تعترض الزهرة بين الشمس والارض فترى حينئذ كنقطة سوداء على قرص الشمس وفى هذه الحالة ترى محاطة بحلقة منيرة هي جو السحب التي تكتنفها . وهو اكثف من جونا اكثر من ثلاثة أضعاف . ووجوده هو الذى يحمل على القول بوجود الحياة على سطحها وعلى الفروض المختلفة في صفة تلك الحياة اذا وجدت . وهذه الفروض هى أولا أن كثافة جوها يجعل الطيران فيه سهلا فليس بالمستبعد والحالة هذه أن يكون أهلها قد اتقنوا

الطيران الى حدّ لا نحلم به على أرضنا هذه بل لا يبعد أن يكونوا قد خلقوا ذوي أجنحة يطيرون عليها كملائكة الرحمن

ومن هذه الفروض أن تراكم السحب في جوّها الى ذلك الحد الهائل يؤكد لنا أو يكاد أن بحورها أعظم من بحورنا بكثير وأن يابستها قليلة تخترقها الانهر من كل جانب وتملأها المستنقعات . وأن المطر فيها لا ينقطع . ومهما يكن شكل الاحياء التي عليها فهي بالضرورة أكثر تمرساً بالماء منا . ومن يدري ألا تكون طائرة سابحة كبعض السمك الطيار تعيش في الجو حيناً وفي البحر آخر . فهي من هذا القبيل تشبه الحيوانات البرية البحرية في أرضنا كالضفدع وعجل البحر وفرس الماء وغيرها

يقول أصحاب مذهب النشوء ان الحياة على الارض بدأت في البحر منذ ملايين الملايين من السنين وكانت الاحياء الاولى كالاسماك في هيئتها وطبيعتها ثم جعلت تتحول الى صور تصلح لسكن اليابسة . ولو بقيت الاحوال عليها كما هي على الزهرة أي كثيرة البحور قليلة اليابسة كثيفة الجوّ غزيرة المطر لكان الاحياء عليها أشبه بالاحياء المفروضة على الزهرة أي أحياء تسبح في الماء أو تطير في الهواء وقلما تطأ اليابسة وقد تكون قوائمها ضعيفة لا تساعدها على كثرة الوقوف والمشي

وعليه فقد تكون الاحياء العليا في الزهرة حيوانات عاقلة تشبه في هيئتها السمك الطيار عندنا . فان زعانفه كبيرة تشبه أجنحة الطير وهو يستطيع الطيران عليها في الهواء إذا طارده مطارد في البحر . ومعلوم أن النوع الانساني ساد باقي الاحياء وبصفات شتى طبيعية وغير طبيعية ربما كان في مقدمتها دقة تركيب اليد باصابعها الخمس . فان لم يكن لاهل الزهرة ايد كايدينا فليس ثمة ما يمنع استعمال أجنحتهم بدقة وخفة كالايدي . او ما ترى الى الفيل انهُ على كثافة مادته وضخامه جثته وسماجة منظرهِ وثقل قوائمهِ لهُ خرطوم يديره ويجيله في كل ناحية ويلتقط به الابرة من الارض وقد يعجز ذو الاصابع الغليظة عن التقاطها وفيه رشاقة ولباقة قد لا تجدها في متوسط ايدي الناس

والطبيعة واسعة الحيلة في تكييف المخلوقات والمطابقة بينها وبين محيطها فلا يعسر عليها ان تمدّ بني الزهرة باجنحة كالايدي في عملها او ارشق منها . ولما كان جوّ الزهرة كما مر بك القول كثير السحب وبالتالي كثير الرطوبة دائم المطر فليس ثمة ما يمنع ان يكون الناس على الزهرة — ونسميهم بالناس تجوزاً فقد يكونون ملائكة وقد يكونون انصاف آلهة كجن البحر

لمسمى بالسيرين عند الاقدمين ـ لا يمنع ان يكون لهم فلوس وحراشف كالتي للسمك يتقون بها البلل او تكون سطوح اجسامهم مغطاة بمادة دهنية كالحوت وغيره من حيوان البحر

وقد يكون الانتقال في الزهرة من مكان الى مكان بواسطة الهواء ايسر وسائط الانتقال بل ربما كان الواسطة الوحيدة لما علمت من طبيعة ارضها ومائها وجوّها . وقلما يرى اهلها وجه الشمس لكثافة سحبها فاذا لمحوهُ لمحوهُ كما نراها نحن عند كسوفها او كما نراها من خلال الغيوم المتلبدة في يوم ماطر من ايام الشتاء . اما الكواكب فلا يرون منها كوكباً وعليه فاذا كانوا قد نبغوا في علم فليس ذلك العلم علم الفلك بل علم سلك البحار والمتيورولوجيا والطبيعة . واذا كانوا لا يرون الكواكب فبعيد ان تكون عيون قد اكتحلت بهذه الارض . ولا نرى بأساً عليهم من ذلك

على انه يقال من جهة اخرى انهم اذا كانوا قد برعوا في الطيران الى الحد الذي نتصوره فليس بعسير عليهم أن يحلقوا في السماء الى ما فوق السحاب فيمتعوا ابصارهم بمنظر الفضاء ودراريه المتألقة ثم يهبطوا الى ارضهم ويكون هذا التحليق وهذا الهبوط نزهة عادية يروحون بها النفس من عناء الاعمال والاشغال على فرض أن لهم اعمالا وأشغالا كما هو المعقول

الجزع من الموت

قال الفضيل بن عياض . ما جزع احد من اصحابنا عند الموت ما جزع سفيان الثوري. فقلنا يا ابا عبد الله ما هذا الجزع اليس تذهب الى من عبدته وفررت ببدنك اليه. فقال ويحكم اني اسلك طريقاً لم اعرفه واقدم على ربّ لم اره »

احسن العزاء

كان عروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قطعت رجله ومات ابنهُ :

« كانوا اربعة (يعني بنيه) فاخذت واحداً وابقيت ثلاثة . وكنّ اربعاً (يعني يديه ورجليه) فاخذت واحدة وابقيت ثلاثاً . فلئن ابتليت لطالما عافيت . ولئن عافيت لطالما انعمت »

تاريخ الطيران

البالون والطيارة

طالما حسد الانسان الطير منذ أول ما رآها تصعد في الهواء وتنزل بخفة وسرعة تسابق بها الرياح وقابلها بثقل حركته وبطء انتقاله فتمنى لو يكون مثلها ذا جناحين . ولما لم يؤتهما افترض لنفسه أفضل منهما ــ افترض في حكلياته بساط الريح ينقله حيثما أراد وخاتم المارد يأتيه بما طلب وقبع الاخفاء يفعل به ما شاء تحت طي الخفاء . وخيل اليه أن السعادة كلها في أن يكون للانسان جناحان لعله يستعين بهما على بلوغ السموات العلى فافترض أن الملائكة خلائق ذات أجنحة وأن هذا سبب سعادتها وتفوقها على هذا الملأ الادنى

قال كاتب انجليزي : تصور لنفسك ماذا يكون معنى الطيران للانسان في العصور التي لم تعرف فيها القطرات والسفن حتى الطرق يوم كانت البحار لا تسلك والجبال سداً حائلا دون الانتقال من ناحية الى ناحية ــ يوم كان الانسان اذا أراد السفر من لندن الى يورك في مركبة كتب وصيته وودع عائلته كأنه ذاهب الى ميادين الحرب »

تمنى النبي داود في التوراة أن يكون له جناحا حمامة . وبلغت شدة الهوى من الشاعر العربي أن تمنى على القطا أجنحتها ليبلغ بها محبوبه فقال بيته المشهور :

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلي الى من قد هويت أطيرُ

ومثل اليونانيون أحد ابطالهم الخرافيين بجناحين من الشمع حاول بهما أن يدنو من الشمس فاذابتهما . وقال روجر بأكون ــ وكأنه ينبيء باختراع الطيارة والبالون بشيء من الالهام ــ « ان طريق الانسان صعداً في الجوّ يجب أن يكون في جسم أخف من الهواء كأن تؤخذ اسطوانة رقيقة من المعدن وتملأ هواء حاراً أو شيئاً من نوع الغاز »

ومع كل سعي الاقدمين في اختراع طيارات يطيرون عليها لم يفلحوا الاّ في الروايات حتى جاءت الساعة التي قدر للناس أن يطيروا فيها وهي ساعة متأخرة في التاريخ الانساني اذا قابلنا الطيران بعجائب المخترعات التي سبقته . وإذا ذكرنا ما بذل الانسان من السعي للتمكن من الطيران وعجزه عن بلوغ أمنيته هذه مع فوزه قبل ذلك بتسخير البخار والكهربائية والنجوم والعفاريت والجنّ في قضاء حاجاته ــ اذا ذكرنا ذلك كله وذكرنا تقصيره في الطيران الى هذا

الزمان الاخير أدرك القارىء معنى قولنا ان الانسان لم يظفر بالطيران حتى جاءت الساعة التي قدر له أن يطير فيها

وهذه الساعة لم تأزف قبل أواسط القرن الثامن عشر اذا أردنا البالون ولا قبل أوائل القرن الحالي اذا أردنا الطيارة . ففي سنة ١٧٦٦ اكتشف كفنديش الانجليزي غاز الهدروجين الخفيف . وفي سنة ١٧٨٣ طير أول بالون على أعين الناس ولكن ليس بالهدروجين . وكان أول شيء مهد السبيل الى تطيير البالونات أو فتح على الناس فكرة امكان تطييرها الدخان المتصاعد عن النار المشتعلة . ذلك أن شقيقين فرنسيين من بيت مونجولفييه في ليون كانا يرقبان الدخان المتصاعد عن نار معمل للورق كان لابيهما فتحاورا في هل يرفع الدخان الاثقال عن الارض ما دام أخف من الهواء فجاءا بكيس من الورق وملآه دخاناً فطار الى سقف المعمل

الطيار بيلاتردي روزبيه الفرنسوي

الماركيز دارلاند الفرنسوي

فظنا أن في الدخان سراً ترفع به الاثقال عن الارض ولكنهما لم يستطيعا شيئاً اكثر من ذلك حتى رأتهما جارة لهما وهما على تلك الحيرة فاقترحت عليهما أن يشعلا ناراً في اناء ويعلقاه بالكيس فيطير بالدخان المتصاعد عن النار . ففعلا فصعد الكيس الى الهواء وبقي فيه طويلا

وبعد اكتشاف الهدروجين بسبع سنوات اقترح الدكتور بلاك أبو الكيمياء الانجليزية أن تملأ الاكياس هدروجيناً فتطير في الهواء

ان أعظم ما يخشاه الطيارون الآن النار سواء أركبوا طيارات أم بالونات . ومن غريب ما يذكر أن أول البالونات التي رفعت الانسان عن الارض انما ارتفعت بالنار التي كانت تحملها فان بيلاتردي روزبيه ركب الهواء سنة ١٧٨٣ ومعه ماركيز دارلاند في بالون من النسيج مبطن بالورق على مثال بالونات الشقيقين مونجولفييه . صعدا من باريس في سلّ معلق بالبالون وقد علق بالسل موقد للنار وكانا يحملان في أيديهما الوقود من الحطب لالقائه في النار اذا خف ضرامها ومعهما اسفنج مشبع ماء لاطفاء ما قد يعلق من النار بنسيج البالون

فصعد البالون ونزل وكان يطفو تارة ويرسب أخرى ويهددهما بالسقوط في نهر السين تحتهما فيزيدان الوقود فيعلو اللهب حتى يكاد يمس البالون ويحرقه وفعلا اشتعلت النار في بعض جوانبه مراراً فأطفآها . وما زالا كذلك حتى اجتازا باريس ونزلا الى الارض سالمين

وبعد ذلك ملىء بالون هدروجيناً لاول مرة فركبه فرنسيان فصعدا بهما الى علو ١٤ ألف قدم وحملهما مسافة ٣٠ ميلا . ثم تلا الصعود الصعود حتى كأن لم يبق للناس شغل سوى صنع البلونات لا للنزهة والتسلية فقط بل لبلوغ القمر ! وكان الهدروجين قد حلّ محل المواقد والافران فكان كل ١٤ قدم مكعبة منه ترفع رطلا واحداً عن الارض . وكما كان الدخان أصل فكرة الطيران بالبالون كذلك كان « البومرانغ » أصل الآلة الدافعة في الطيارة . و« البومرانغ » سهم أو مزراق على شكل قوس يستعمله أهل استراليا الوطنيون في الصيد والقنص وهو مصنوع بحيث اذا رشق الى بعد عاد على راشقه

جلايشر العالم الانجليزي

كوكسويل العامل الانجليزي

ومضى قرن أو أكثر والبالونات تشاطر الطير في الجوّ وتسبح معها فيه ولكن بينما الطير تروح وتغدو حيث تشاء فان البالونات ما فتئت « كريشة في مهب الريح طائرة » . ومن أعجب حوادث الطيران بالبالون طيران انجليزيين أحدهما عالم اسمه جلايشر والثاني صانع حذق ركوب البالونات اسمه كوكسويل . ركبا بالوناً سنة ١٨٦٢ وارتفعا به سبعة أميال ولما أرادا النزول وجدا أن الحبل المتصل بمصراع الغاز معرقل وكان البرد شديداً جداً وحاول كوكسويل حل الحبل فكان اذا مس المعدن هرئت يداه من شدة البرد . وأحس رفيقه بشيء من الشلل ثم خارت قواه وكلت عيناه عن البصر ولم يكد يطيق التنفس ولكنه بقي محافظا على شعوره ثم فقد صوابه وسقط في مركبة البالون

وكان كوكسويل قد حل الحبل ولكنه لم يستطع شده لفتح مصراع الغاز فبقي يصعد بدلا من أن ينزل . وأخيراً وضع الحبل بين اسنانه وشد بما بقي فيه من قوة فانفتح المصراع وطفق

اليالون يهبط فلما أحس جلايشر بالحرارة عاد اليه رشده فنزلا الى الارض سالمين

ثم جاءت تجارب ليليانتل الالماني وبيلتشر الانجليزي وشانوت الفرنسي اذ كانوا يركبون شيئاً اشبه بالاجنحة وينزلون به من رؤوس الجدران والسطوح الى الارض على مهل وقد قتل الاول والثاني وهما يجربان مثل هذه التجارب

اما الرجل الذي اخترع الطيارة الاولى فمات مكسور الخاطر ولم ينتفع باختراعه بل لم يعلم بنجاحه فهو لنجلي الاميركي ولد سنة ١٨٣٤ في ولاية مستشوستس . وكان اول من عمل على اختراع آلة تكون اثقل من الهواء وتطير من تلقاء نفسها خلافا لما قال به نيوتن في عصره ولما قال به اللورد كلفن في اوائل هذا القرن وهو أن الجسم لن يعوم فيما هو اخف منه او أن آلة أثقل من الهواء لا يمكن أن تطير . ولكن تجاربه ارته أن الآلة التي تسير بسرعة ٢٠ ميلا في الساعة تحمل جسما أثقل مما تحمله وهي تسير بسرعة ١٠ اميال واذا زادت سرعتها الى ٤٠ ميلا

ليليانتل العالم الالماني

بيلتشر العالم الانجليزي

في الساعة حملت اكثر مما تحمل وسرعتها ٢٠ ميلا

وبعبارة اخرى انه كلما اسرعت الآلة في الانتقال من مكان الى مكان في الهواء اشتد دعم الهواء لها من تحتها ومساعدتها على البقاء فيه وكلما اطالت وقوفها في مكان تعرضت لخطر السقوط . وعمل امتحانات كثيرة حتى تمكن في سنة ١٨٩٦ من تطيير أول طيارة . وكان ثقلها ٢٥ رطلا وطول جناحها ١٣ قدما وفيها آلة بخارية تسوقها . صعدت من قارب في النهر وشاهد صعودها مع مخترعها الدكتور جراهام بل مخترع التلفون . فطارت في الهواء رويداً مارة من فوق رؤوس الاشجار ثم طرأ على الآلة ما عطلها فنزلت في النهر فانتشلت وجففت ثم طيرت

وبلغ من طرب المخترع باختراعه أنه لم يستطع مشاهدة طيران طيارته لشدة انفعاله فاختبأ في غابة على ضفة النهر . وبقيت المسألة حيث هي بضع سنوات ثم طلب من لنجلي أن يجرب طيارة تحمل الركاب فصنع واحدة سنة ١٩٠٣ ثقلها هي وآلتها ١٢٥ رطلا وأراد أن يطيرها في

مشهد من الناس . فطرأ على الآلة ماخربها فسقطت الطيارة فى الماء فضحك الناس حينئذ على الطيارة ومخترعها وتحول نصره الاول سنة ١٨٩٦ فشلا سنة ١٩٠٣

لنجلى الاميركى فى ساعة نجاحه

فلم ينبس لنجلى بكلمة بل ذهب الى بيته وقال لصديق له « كل ما عملت في حياتي ذهب ضياعا » ومات سنة ١٩٠٦ تاركا طيارته في معامل المعهد السمثسوني بوشنطن ليتفرج الناس عليها وكان استاذاً في هذا المعهد المشهور. وفي سنة ١٩١٤ سنة الحرب العظمى وكانت الطيارات قد بلغت شأواً رفيعاً أخرج تلاميذه تلك الطيارة من مضجعها وجهزوها بعوامات كالطيارة البحرية ووضعوها على نهر بوتوماك الذى كان لنجلى يجرب تجاربه عليه ثم ركبها أحدهم وأدار الآلة فدارت ومشت الطيارة على الماء قليلا ثم ارتفعت وطارت كالعصفور

هذه كانت الطيارة الاولى اضجعت في مرقدها احدى عشرة سنة لم يدرك الناس فيها حقيقة أمرها فلما طوي لنجلى في قبره نشرت طيارته من لحدها كأنهما كانا على ميعاد . فمخترع الطيارة الاولى اميركي وأول من طار بطيارة أميركى بل شقيقان اميركيان هما ولبور واورفيل رايط . كانا طباعين في صناعتها ولكنهما اضافا اليها عمل الدراجات وترميمها . فاشتغلا بفكرة الطيران سنة ١٨٩٦ وهي السنة التي طار

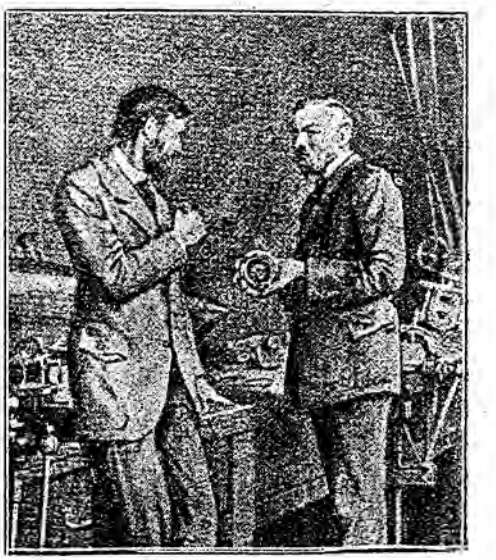

لنجلى الاميركى فى ساعة فشله

فيها نموذج لنجلى كما تقدم القول وقرأ كل الكتب التى كتبت عن الطيران وامتحنا كثيراً في معملها الصغير فوجدا أن جميع مذاهب الطيران فاسدة كثيرة الخطر

فخرجا الى برارى كارولينا الشمالية احدى ولايات اميركا وعاشا في كوخ وجربا التجارب في آلة صغيرة من نوع « الموتر » أى المحرك كانا قد صنعاها . وكانا كثيراً ما ينفقان ما عندهما من الدراهم القليلة فيساعدهما أبوهما بما وسعه وكان قسيسا وشقيقتهما وكانت معلمة . وأخيراً

طيارة لنجلى فى السنة الاولى من الحرب العظمى

انتصرا على الطبيعة وعلى نيوتن الذى قال باستحالة الطيران وعلى كلفن الذي قال في السنة عينها سنة ١٩٠٣ وكان لا يزال حياً ان طيارة تكون أثقل من الهواء لن تطير فيه كما تقدم . ففى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ طار أحد الشقيقين بطيارته ٥٩ ثانية رغم أنف الطبيعة ونيوتن وكلفن وسجل التاريخ ذلك لهما على ذينك الفيلسوفين الكبيرين والطبيعة معهما

ولبور رابط الاميركى

أورفيل رابط شقيقه

وبعد ذلك قصدا فرنسا لاتمام تجاربهما فاتخذا مكانا لهما في احد الحقول وجعلا يعالجان طيارتهما والفلاحون متكأ كئون عليهما كمن به جنة فلما طال المطال عليها ولم يطيرا بها جعل الفلاحون يسخرون منهما . وفي ذات يوم فتحا باب مخزنها وخرجا منه بجران طيارتهما وهى جسم بشع المنظر مؤلف من خشب وخيش وأسلاك وعوارض واخال يجري على عجلات فاغرب الفلاحون في الضحك وهزأوا ما شاؤوا

فجلس ولبور الشقيق الأكبر في مقعد الطيارة وصاح « واحد » فرد الفلاحون عليهم ساخرين « واحد » . « اثنين » فقالوا « اثنين » . « ثلاثة » فلم يرد الفلاحون الصدى ذلك لان ولبور كان قد ارتفع بطيارته وحلق الى مسابح الطير ثم هبط الى مسارح الانس فاقبل الفلاحون عليه يهتفون له ويقبلونه

ولم يمض على ذلك اسابيع حتى توجه لورد نورثكليف صاحب جريدة التيمس الذي توفى منذ سنتين الى سفح جبال البيرانيز في فرنسا لمشاهدة طيران رايط في حشد حافل من الناس فطار ودار بسرعة ٤٠ ميلا وارتفع وهبط حتى كاد يمس رؤوس الاشجار وغاب ثم ظهر بعد عشر دقائق ثم هبط الى الارض باسهل مما ارتفع وسط هتاف الناس ودهشهم. وثبت لهم مما شاهدوا أن الطيران بات حقيقة ملموسة بعد ما كان من بنات الخيال ومن حديث الروايات

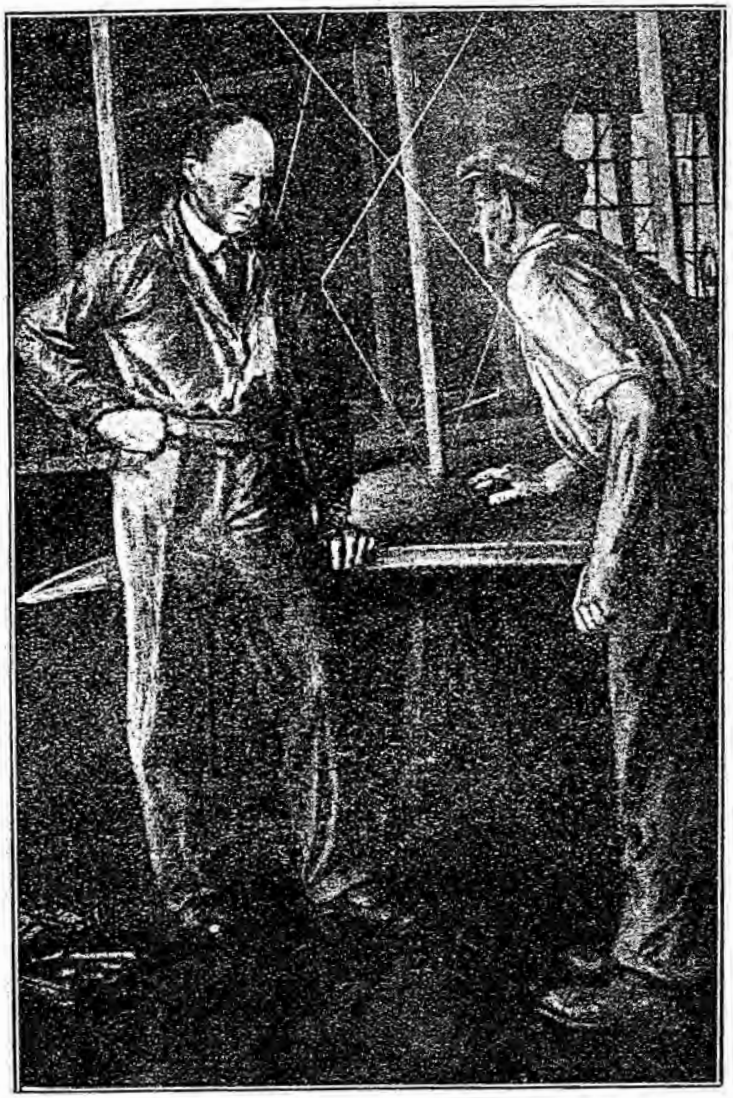

الشقيقان رايط في معملهما يشتغلان بحل عقدة من عقد الطيران

***

أما البالون فيعزى اصلاحه الذي بلغ به حده الحالي من الاتقان الى الكونت تسبلن الالماني الاصل السويسري المولد. فغير شكل البالون من شكله القديم الذي يشبه الكمثرى الى شكل السيجار ورأى أنه إذا أريد أن يكون البالون شيئاً عملياً ينتفع به لا محض لعبة للتسلية الخطرة وجب أن يسير الى كل جهة مع الريح وضدها لا كما كان.

قبل ذلك وأن يكون صلب القوام . فبعد تجارب كثيرة فاز في بعضها وفشل في بعض حتى لم يبق لديه ما يعيش به فتح عليه فاكل شكل البالون الذي اشتهر فيما بعد باسمه

لويس بلاريو الطيار الفرنسوي الذي كان أول من طار من كاليه في فرنسا الى دوفر في انجلترا سنة ١٩٠٨ وأخذ جائزة الدايلي ميل وقدرها ١٠ آلاف جنيه

***

هذا تاريخ طيران الانسان بشيء من التطويل ولعله ليس مملا للقراء . وعندنا أن الطيارات والبالونات ستصبح أدوات تنقل الجيل القادم كما أن القطرات والسيارات أدوات تنقل هذا الجيل . بل لسنا نستبعد أن يكون لكل انسان طيارته يتنقل بها من مكان الى مكان بين عمله ومنزله ونزهته كما يتنقل بالمركبة والسيارة الآن

حسن الجواب

قال عبد الملك بن مروان في خطبة : وابي والله ما أنا بالخليفة المستضعف (وهو يعني عثمان رضي الله عنه) ولا أنا بالخليفة المداهن (يعني معاوية) . قال أبو اسحق « والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المداهن لكنت منها (أي الخلافة) أبعد من العيوق (نجم في السماء) . والله ما أخذتها من جهة الميراث ولا من جهة السابقة ولا من جهة القرابة ولا تدعي شورى ولا وصية »

وصية عمرو بن العاصي

وهو يحتضر

لما احتضر عمرو بن العاص قال لبنيه : ان أنا متّ فلا تبكوا عليّ ولا يتبعني مادح ولا نائح . وشنوا عليّ التراب شنّا فليس جنبي الايمن أولى بالتراب من الايسر . ولا تجعلوا في قبري خشبة ولا حجراً . واذا واريتموني فاقعدوا عند قبري قدر نحر جزور وتفصيلها أستأنس بكم »

النار فى الدارين

آخرة بنى آدم

يري كثيرون من كبار علماء الجيولوجيا والفلك أن الارض سوف تصير يوما من الايام نجما مثل سائر نجوم السماء . ولبيان ذلك نقول :

يظهر أن الارض تسخن يوما فيوما ولكن ببطء لا يشعر به وأن المذهب القديم الذى يقول أن الارض تبرد شيئاً فشيئا وأن قشرتها تنكمش وتتقلص على اثر ذلك يكاد يبيت رأياً مهجوراً . وقد لاحظوا في الزمان الاخير انه استولى على الاوقيانوس المتجمد الشمالي حرارة لم تعهد من قبل اذابت الجمد فى بقاع مازال يغطيها منذ زمان لا يعرف اوله . وقد يكون لذلك علاقة بموضوعنا هذا او لا يكون ولكن هناك دلائل أخرى تؤيد ما نحن بصدده

خلاصة هذا المذهب الجديد أن قشرة الارض آخذة في الذوبان من تحت وأن وجه الارض سيبيت يوماً حامياً بل شعلة نار .ومتى جاء ذلك الزمان فان الارض سوف تضيء بنور من نفسها فتصير والحالة هذه نجما صغيراً

واذا صح أن الارض تحمى على التوالى فمن اين تأتيها الحرارة ؟ والجواب من الراديوم . فقدروا أن جميع الراديوم الذى في الارض يولد من الحرارة ١٣٧ ضعف الحرارة التي تشعها قشرة الارض أو سطحها الى الخارج . وقشرة الارض الصخرية موصل رديء للحرارة فلا توصل الينا الا القليل من حرارة الارض الباطنية حيث درجة الحرارة ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ بمقياس فارنهيت . وعليه فان الراديوم يبقى يولد الحرارة ولا يفلت فيها الا القليل ونتيجة ذلك أن حرارة باطن الارض ترتفع على الدوام وارتفاع الحرارة هذا هو الذي يذيب الجزء الاسفل من قشرة الارض

وهذا العمل جار ببطء ونتيجته أن قشرة الارض ترق شيئاً فشيئا . ولما كان الوقت لا يحسب له حساب فى عمل الطبيعة فقد تمر أدهار طويلة قبلما تصل الحرارة الباطنية الى السطح ولكن لا بد من وصولها يوماً اذا صح هذا المذهب

اما الناس فماذا يصيبهم اذا فرض انهم عاشوا بضعة ملايين سنة بعد اليوم ؟ هل يكون ازدياد الحرارة سببا لازعاجهم اولا ثم سببا لهلاكهم ثانياً واخيراً . وهل تصبح الارض احمى

صدراً من أن يستطيع الانسان احتمالها ؟ وهل قدر له عذاب النار في الدارين الاولى والاخرى ؟

أما كون النيران الباطنية موجودة وكونها تصل سطح الارض أحياناً فالدليل عليها ثوران البراكين من آن الى آن في هذه الناحية أو تلك من نواحي المعمور . فان البركان أصغيراً كان أم كبيراً ليس سوى عرمة من الرماد المتجمع عند فوهة مدخنة تمتد من سطح الارض الى جوفها حيث النار دائمة الاشتعال . وليست قشرة الارض بالنسبة الى الارض نفسها بالمخن من قشرة البيضة بالنسبة الى البيضة . وفي باطنها كرة حمراء ليست بذات لهب كنارنا ولا ذائبة كما تذاب المواد على سطحها بل هي محماة الى درجة البياض من شدة الحر وحرّها أعظم من كل حر نعرفه الاّ حر الفرن الكهربائي

والحرارة من سطح الارض الى باطنها تزيد في الاحوال العادية على معدل تسعين درجة فارنهيت في كل ميل . ولكننا نجد أحياناً درجة عالية من الحرارة على أعماق قليلة . ولم ذلك ؟ يرجح بعض علماء الجيولوجيا أن سبب ذلك وجود مناجم للراديوم

ومعلوم أن الراديوم يشعّ قوة وهذه القوة تحصرها المواد التي حولها فتتحول تلك القوة الهائلة حرارة كما تتحول قوة القنبلة التي تصيب هدفا من الفولاذ حرارة تذيب جزءاً منها وتحدث ناراً ملتهبة محل الاصابة

وربّ سائل يسائل هل يمكن تقدير مقدار الراديوم الموجود في جوف الارض ؟ وجواباً عن هذا نقول ان الراديوم عنصر يتولد من عنصر آخر اسمه الاورانيوم وهو من أعظم المواد انتشاراً في الطبيعة وموجود في كل يابسة وماء . ووجوده في الصخور على نسبة واحدة تقريباً والمرجح أن هذا هو حاله في الارض كلها. وحيثما وجد الاورانيوم وجد الراديوم في تركيبه على نسبة ١ من الثاني الى ٣ ملايين من الاول . وفي بعض الاماكن رواسب ثمينة منه منها منجم في جوار يوا كيمشتال بالنمسا حيث اكتشف الاورانيوم أولا ووجد على شكل أوكسيد أصفر سمي « بتشبلاند » . ووجد منه منجم جديد غني في « كننجا » التابعة للكونغو البلجيكية وهي ممتدة جنوباً الى شمال رودسيا

وفيما عدا ذلك فان الاورانيوم موزع توزيعاً يكاد يكون متساويا على جميع سطح الارض . فهو موجود في كل تربة وفي كل ماء ينتشل من أية بئر مهما يكن عمقها . ولعل وجوده في الماء ناشيء عن ملامسته للصخور التي تحوي الراديوم في قعرها . واذا قسم مجموع الاورانيوم الذي في الارض على ٣ ملايين كان الخارج مجموع الراديوم الموجود فيها

فبعد ما حسب العلماء مقدار الراديوم الذي في الارض وعرفوا مقدار الحرارة التى يشعها الجرام منه عرفوا مقدار الحرارة التى يشعها الراديوم كله . وقد قلنا أن الاورانيوم يولد الراديوم والصحيح أن يقال أنه يتحول من حال الى سلسلة حالات متتابعة الرصاص آخرها والراديوم قبل الآخر . ومقدار الراديوم في الارض لا يقل لانه يتولد من الاورانيوم وهذا معين لا ينضب

أما تحول الاورانيوم الى الراديوم فتحول بطيء الى درجة لا تصدق وعلى ذلك فان الراديوم نادر جداً على كثرة الاورانيوم . وأصحاب المذهب الجديد يقولون ان فى الارجاء البركانية وعلى عمق عظيم من قشرة الارض صخوراً هائلة المقدار غنية جداً بالراديوم . وهـذا الراديوم يولد حرارة عظيمة تطلب لها منصرفاً وقـد تشق لها طريقاً في قشرة الارض فتنشأ البراكين من ذلك . ويقولون ان من الجزائر ما كونه الراديوم كجزيرة صقلية مثلاً (سيسيليا) . وهـذا الراديوم هو الذي يسبب براكين اليابان وأرجاء كريب في أميركا الوسطى وشبه جزيرة الاسكا ويسبب الجحيم الارضى القائمة جزيرة جاوه عليه

درجات العلم عند العرب

كانوا يقولون : أول العلم الصمت . والثاني الاستماع . والثالث الحفظ . والرابع العمل به . والخامس نشره

ونحن لا نزيد على ذلك الاّ كلمة على سبيل التعليق البسيط وهي أنهم كانوا يريدون بالعلم علوم الدين . وعندنا أن درجات علوم الدنيا يجب أن تكون على الترتيب المتقـدم والاّ فمن بدأ تعلم العلوم بالاكثار من الـكلام والدعوى والاقلال من الحفظ والعمل فعلمه كالبندق الفارغ كما قالوا « خليٌّ من المعنى ولـكن له طقش »

الوجهان واللسانان

قال سعيد بن ابي عروبة : لأن يكون لي نصف وجـه ونصف لسان ـ على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المخبر ـ أحبُّ اليَّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين »

وسمع الاحنف رجلا يطري يزيد بن معاوية فلما خرج من عنده بالغ في ذمهما فقال الاحنف « مه ـ إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً »

كلمة عن البعوضة

أو الناموسة

جاء في حكم لقمان أن بعوضة أو ناموسة وقفت على قرن ثور وقالت ان كنت قد ثقلت عليك فاخبرني لأنزل عنك . فنظر اليها الثور نظرة الزراية والاستهانة وقال ياهذه ما شعرت بنزولك حتى أشعر بذهابك

لكن هذه التي احتقرها « شتربة » لصغرها هي التي أدمت مقلة الاسد سيده ومولاه وهي التي قتلت ألوف الخلق ولا تزال تقتل منهم الى الآن مالا تقتل الوحوش الكاسرة مجتمعة . وتزيد قتلى المكروبات الصغيرة التي لا ترى على قتلى الحروب والعدوان بين الانسان والانسان وبين الانسان والحيوان وتفوقها أضعافاً مضاعفة . ولو علم الثور أن مكروب السلّ أشدّ فتكاً بطائفته منه بطوائف الحيوان الاخرى ما استهان بحيوان أصغر منه . ولكن العتب على العقل كما قال المثل

عرف أن من أصناف البعوض ما ينقل مكروب الملاريا كما تنقل البراغيث مكروب الطاعون والقمل مكروب الحمى التيفوسية وهذا هو سبب ضرره . وعرف أيضاً أن الماء المستنقع هو وطن البعوض الذي يحبه ويولد فيه وينمو ويعيش فجعل الانسان يزيل المستنقعات أينما وجدها ليسلم من شرّ البعوض وبالتالي الحمى الملارية . وعرف أن أحسن علاج له اذا لم يسهل ازالة المستنقعات رش زيت البترول على كل ماء راكد

هذا أهم ما عرف عن البعوض والملاريا . ومما عرف من طبائعه أنه قادر على تكييف نفسه على حسب الوسط الذي يعيش فيه وأن عمره لا يزيد على أسبوعين أي أن مروره في أدوار عمره الاربعة يقتضي اسبوعا الى اسبوعين على الكثير

وقد تتكون ملايين منه فى برميل ماء لا غطاء له . ويقول كاتب في مجلة ناتشر أن علب السردين وغيرها مما يرمى عادة هنا وهناك هي أحسن مباءة له بعد نزول الامطار فيعيش فيها ويتوالد توالداً عظيماً

ومما ثبت أو كاد أن البعوض الذي يكتسح البيوت يطير مسافة قصيرة من مكان توالده فاذا كان البعوض كثيراً في منزل أمكننا أن نستنتج حالاً أن قرب هذا المنزل ماء يتوالد فيه البعوض وينمو

وقد سنت حكومة فلسطين القوانين لمكافحة البعوض لان اعتماد الاهالي في مائهم على المطر فيبنون خزانات له ويملأونها في فصل الشتاء فاذا أهملت توالد البعوض فيها . وهذه القوانين توجب على الاهالي تغطية آبارهم والقاء زيت البترول فيها وهي عرضة لتفتيش مفتشي الصحة من آن الى آن فاذا رأوا اهمالاً من أحد عوقب على ذلك بالغرامة

ومن البلاد المنكوبة بالمستنقعات بلاد اليونان وجنوب روسيا وغربها وأواسط اسيا فلذلك تفتك الحمى الملارية بالاهالي فتكاً ذريعاً هناك . وكان هذا شأن بلاد اميركا الوسطى فبذلت الحكومة الاميركية جهداً عظيماً في ازالة المستنقعات ومكافحة البعوض عند اكمالها لفتح ترعة بنما . وكان بعض أجزاء القطر المصري مثل الاسماعيلية والسويس وبورت سعيد بؤرة لهذا البعوض حتى عهد الى الدكتور روس الشهير ومعاونيه في مكافحته فخلص القطر منه كثيراً أو قليلا

القلب الدامي

قالها الشاعر في هدية قلب بلّوري صغير أرسل اليه نصفه أحمر اللون والنصف الآخر أصفر

أهديت تمثال الفؤاد الدامي ... قلباً من البلّور رفَّ أمامي
في نصفه لونُ النّجيع مخضّبٌ ... آماله ، وبنصفه آلامي
أعطتهُ لوناً من ذبول سعادتي(١) ... وكستهُ من شجني(٢) ودمع غرامي(٣)
فرأيته المتلألىء الباكي أسًى ... الشاحب الذّاكي بلفح ضرامي
« من أنت يا أملي ؟ » فقال معاتباً : ... أنسيت قلبك في مقام هيام ؟ !
أولم أكن منك الرسول لقلبها ... ولقد جُرحتُ فعدتُ في أسقامي ؟ !
فوضعته فوق الضّلوع فزادني ... حسّاً ، وحرّك بالخفوق أُوامي
فعلمت كيف رددته برّاً الكي ... يُوفي رسالته الى أحلامي
متزوّداً من بعض قلبك — إنّه ... رُوحي وإن طُبعا على الآلام!

الدكتور ابو شادي

(١) اشارة الى الصفرة (٢) اشارة الى الحمرة (٣) اشارة الى التلألؤ

قلم الرصاص

وكيف يصنع

سمي قلم الرصاص تجوزاً لان المادة التي يصنع منهـا ليست من الرصاص في شيء بل هي معدن اسمه جرافيت يضاف اليه شيء من الصلصال . وأصل تسميته بقلم الرصاص في العربية ترجمة حرفية لاسمه بالانجليزية فانه يسمى بها « لد بنسل » أي قلم رصاص

وأدوار صنعه اثنا عشر نذكرها بترتيبها تحت صورها

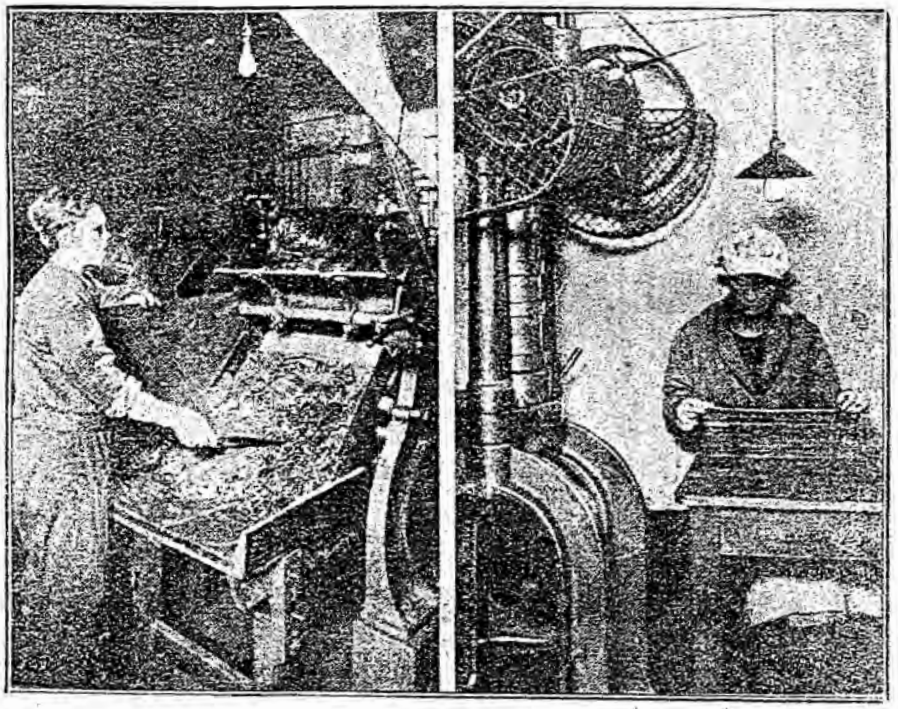

(١)

ا ب

الدور الاول

أول دور في صنع قلم الرصاص هو سحق المواد التي يصنع منها في مطحنة خاصة ثم مزجها بالماء لتتكون منها عجينة كثيفة كما يرى في الشكل (١)

الدور الثاني

ثم توضع العجينة في أكياس وتكبس بمكبس ثم تنقل الى اسطوانات طويلة عمودية كالتي

ترى في الشكل (٢) وتدخل بمدك فى ثقب بالحجم المطلوب فتخرج خيطاً طويلا غير منقطع

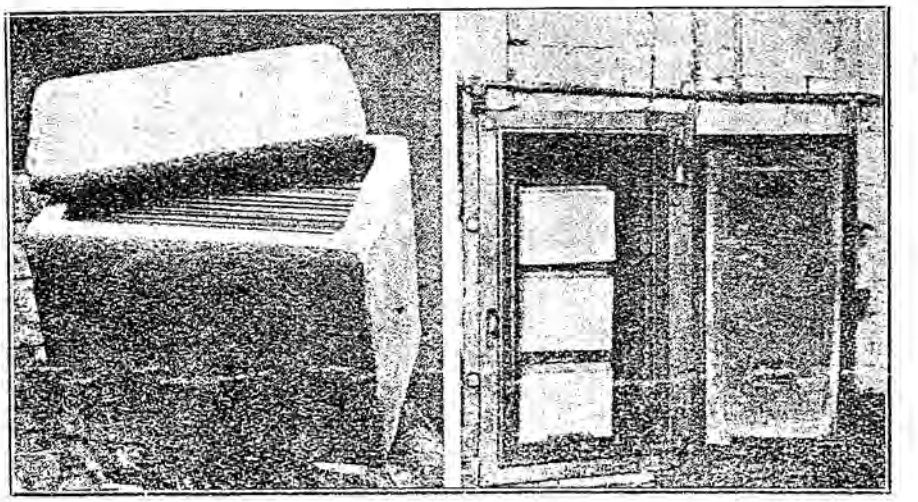

ا (٢) ب

الدور الثالث

ثم يقطع خيط الجرافيت الى أطوال توضع في صندوق كالذى يرى في الشكل (٣) ويوضع الصندوق في فرن بضع ساعات لتجف تماماً

الدور الرابع

وإذا أريد جعل أقلام الرصاص قاسية جعل الصلصال فيها أكثر من الجرافيت واحمي الفرن كثيراً

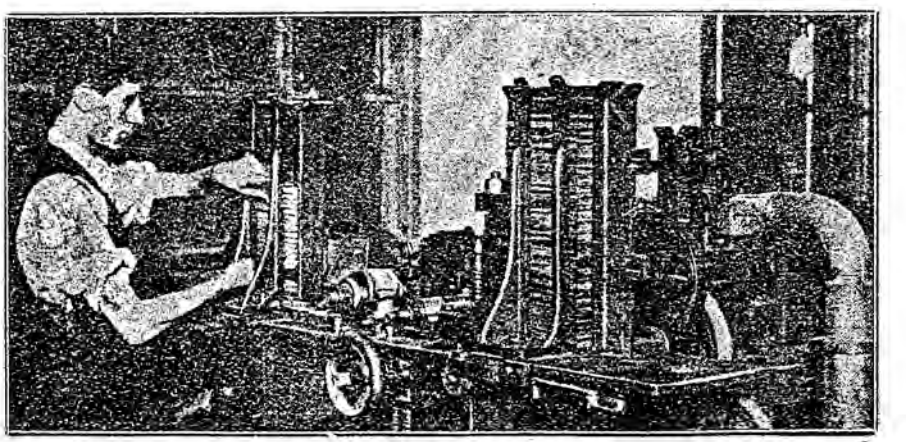

(٣)

والاّ فاذا أريد أن تكون لينة جعل الجرافيت أكثر من الصلصال وشويت في فرن بطيء الحرارة

الدور الخامس

وإذا أريد صنع أقلام غالية جعل خشبها من نوع من خشب السرو الاميركي . أما الرخيصة فيصنع خشبها من ارز الصنوبر . وهذه الآلة تريك كيفية تقطيع الخشب وحفره ليملأ بقطع الجرافيت

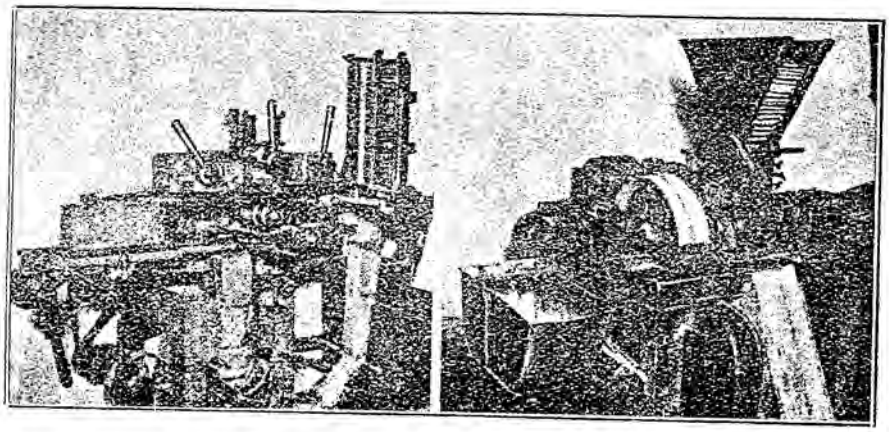

(٥)

الدور السادس

صورة الآلة التي تهذب الخشب وتخرطه

(٤)

الدور السابع

صورة الآلة التي تصقل الخشب وتلمعه

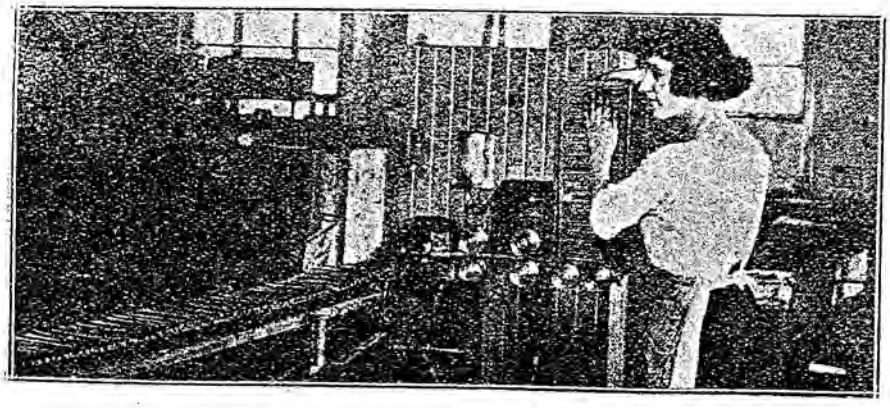

(٦)

الدور الثامن

صورة الآلة التي تصبغ الاقلام بالوانها المختلفة

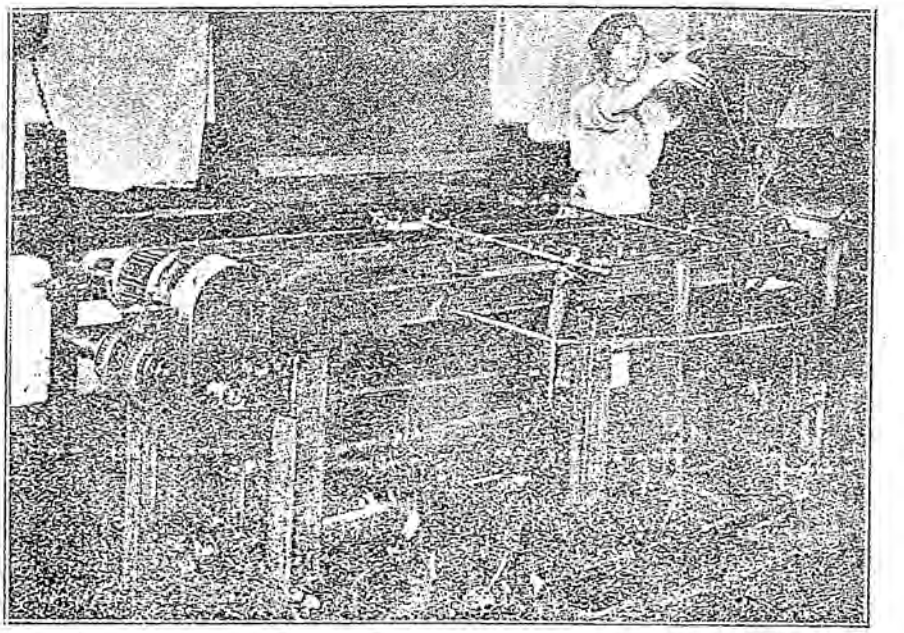

(٧)
الدور التاسع — صورة الآلة التي تصقل الأقلام وتلمعها بعد صبغها

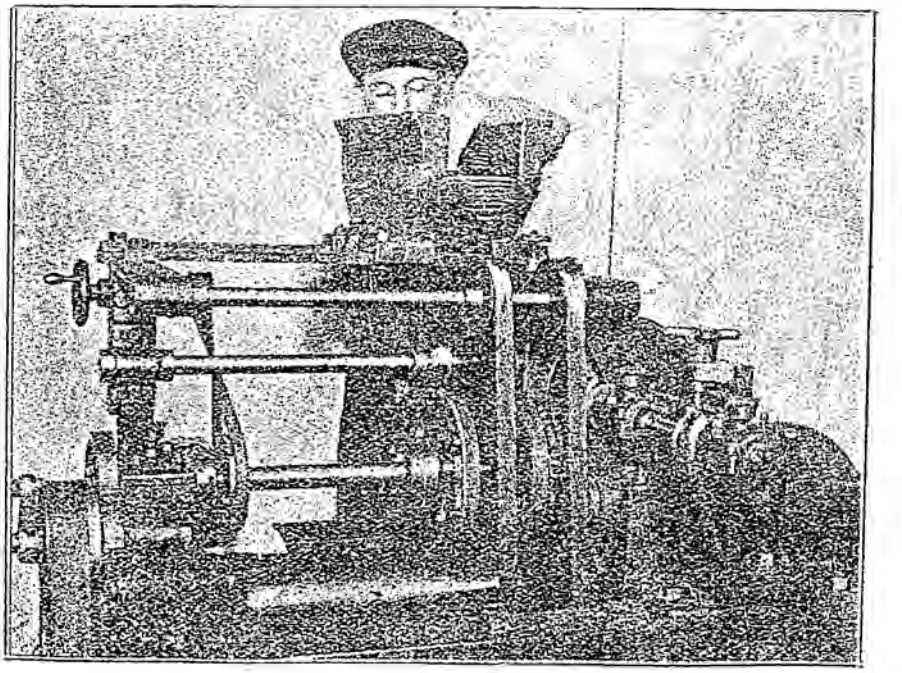

(٨)
الدور العاشر : صورة الآلة التي تقطع أطراف الاقلام وتساويها بعضها ببعض

الدور الحادي عشر: صورة الآلة التي تطبع على الاقلام أسماء صانعها وسائر مايراد كتابته عليها

الدور الثاني عشر: صورة فتاة ترزم الاقلام رزماً قبل ارسالها الى السوق

والاقلام الملونة تصنع كاقلام الرصاص العادية ولكن يضاف الى مادتها شيء من الشمع والمادة الملونة . ويضاف الى مادة أقلام الكوبيا شيء من أصباغ الانيلين

المرأة الجديدة

(خطاب ألقاه أديب فلسطين الاكبر الاستاذ خليل السكاكيني)
(في احدى مدارس البنات العالية بالقدس)

حضرات الاوانس المحترمات

كلفتني حضرة الرئيسة المحترمة القاء خطاب على خريجات مدرستها الزاهرة وتركت لي اختيار الموضوع على أن يكون مما يلذ للأوانس المحترمات وأن لا يتجاوز ثلاثة أرباع الساعة

أما أن أقف أمامكن خطيباً فهذا موقف أقدره قدره ولا سيما في هذه الأيام التي شغلت السياسة فيها الناس فكادت القلوب تتحجر والنفوس تظلم والاخلاق تسوء فوقفة أمامكن أيتها الاوانس المحترمات تعيد الى النفوس سرورها بل تسمو بها فوق جو السياسة المكفهر إلى جو الجمال والكمال . فاشكر حضرة الرئيسة المحترمة على هذه المنة العظيمة . وأرجو أن لا تكون الاولى والاخيرة فانى رهين أشارتها ورأيها موفق ونظرها كفاية

وأما أن أختار موضوعا يلذ للاوانس المحترمات فهذه مشكلة المشاكل . ليس لان المواضيع قليلة وليس لانى أعجز عن أن أهيىء خطاباً فى موضوع منها وأوفيه حقه . ولكن لان الاوانس المحترمات في هـذا الدور من الحياة ولا سيما وهما خريجات مدرسة عليا لا يعجبهن العجب ولا يرضيهن شيء . قد أوفق في اختيار الموضوع وقد أوفق في الكلام عنه ولكن ما أدراني وأنا القى خطابي وأحسب نفسى قد قضيت غرضاً أن تكون الاوانس المحترمات مشغولات بأمر آخر . فهذه تراقب حركاتي وإشاراتي . وتلك تقابل بينى وبين من تقدمنى من الخطباء فترى أن وقفة الخطيب ذاك أجمل من وقفتي وأن موضوعه أجمل من موضوعي وأن لغته أجمل من لغتى إلى غير ذلك ... ثم لو فرضنا أني وفّقت في اختيار الموضوع ووفقت فى الكلام عنه ووفقت فى أرضاء الاوانس المحترمات فكيف أضمن أن خطابي لا يزيد عن ثلاثة أرباع الساعة أو ينقص عنها ـ إذا زاد تبرمت الاوانس المحترمات وإذا نقص قلن بضاعته قليلة . وعلى كل حال فالموقف حرج والأمر ليس سهلا . ولست اكتمكن أني تهيبت الموقف وتولتنى الحيرة ولولا الحياء لاعتذرت وانسحبت لئلا يكون موقفى مثل ذلك الخطيب الذي وقف لاول مرة خطيبا في حفل كبير فلما رأى الابصار شاخصة اليه نسى موضوعه وبعد أن أطرق كثيرا قال قبل أن أدخل هذا الاجتماع لم يكن أحد يعرف خطابي غير الله وأنا وأما الان فلا يعرفه غير الله ...

فاذا شكرت حضرة الرئيسة على ما أولتنى من الشرف والسرور والمنة بالوقوف أمامكن فلست اكتمكن وأكتمها أنى قلت في نفسي سامحها الله وسامح من دلها علي لقد عرضتني للخطر وأوقفتنى في موقف كنت فى غنى عنه

ولكنى طمعت فى شرف الموقف فتجرأت وقبلت الدعوة (المجلة - انتهت مقدمة ابن خلدون !)

* * *

يذكرني هذا الموقف بتلك الايام الجميلة التي كنت فيها أستاذاً للغة العربية في مدارس مختلفة للبنات . فقد علمت قبل نحو عشرين سنة فى مدرسة راهبات صهيون الأفرنسية فى القدس . ومدرسة المعلمات الانكليزيه فى بيت لحم . ومدرسة المعلمات الروسية فى بيت جالا نعم قبل عشرين سنة . أقول ذلك وأنا لا أجهل أن بينكن من تقول ترى كم كان عمره يوم علم وكم عمره الان ؟ بل قد تكون بينكن من تذهب بعيداً فى تقدير عمرى فتحسب أنى علمت أمها أو جدتها !! لايشغلنكن أمر عمري فان عمرى لايعرفه أحد غير الله وأنا . لنعد إلى موضوعنا

يذكرني موقفى هذا بتلك الايام وما كان أحلاها . وقد كانت تلميذاتي فى مثل أعماركن اليوم أى بين الاربعين والخمسين !! وأنى أفتخر أمامكن أن بين تلميذاتى بالامس كثيرات من الكاتبات الاديبات والمعلمات البارعات والامهات الفاضلات وقد تكون بينهن جدات ! لم أعلمهن كل شيء ولكنني علمتهن لغتهن فكن يحببنها ولم تستطع اللغة الافرنسية أو الانكليزية أو الروسية أن تزاحمها مع أن المدارس التي كنت أعلم فيها كانت أجنبية . واذا علمت اللغة فكأني علمت الوطنية وعلمت الاخلاق والآداب واشتركت في إنارة البصيرة وإرهاف الذهن وتثقيف الشعور وبث الروح العالية فى النفوس. فان اللغة هي عنوان الوطنية. وأدبيات اللغة هي دروس في الاخلاق والآداب والاجتماع. ومعرفة اللغة في العالم المتمدن من أهم الادلة على استكمال شرائط التهذيب بل أن العرب أنفسهم كانوا يحسبون مراعاة أحكام اللغة من لوازم الآداب

يحكى أن رجلا قال لابيه :

بما توصينى يا أبى ؟

فقال :

بتقوى الله وإسقاط الالف

يريد إسقاط الف ما . لان ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر حذفت الفها بحسب ذلك من لوازم الاداب

فالتي تتعلم كل شيء ولا تعرف لغتها لاتقرأها وإذا قرأتها لاتفهمها وإذا فهمتها لاتتكلم أو تكتب بها فتهذيبها ناقص :

لم يكن شيء ألذ عندى من أن أقف الى تلميذاتى فاعلمهن لغتهن . وإذا عدت إلى الحياة مرة ثانية فانى لا أختار إلا أن أكون معلما ولا أختار الا أن أعلم اللغة وأدبياتها ، ولا أقول ن أكون معلما فى إحدى مدارس البنات لان مدارس المستقبل ستجمع بين الجنسين

كانت تلك الايام وليس العهد بها بعيداً أوائل عهد التجدد الذى دخلت فيه المرأة في الشرق . ويسرنى أن أقول ان الشرق منذ ذلك الحين الى اليوم مشى خطوات واسعة في هذا التجدد . كما يسرنى أن أقول إن الاوانس المحترمات من ثمار هذا التجدد . وأرجو أن يسركن أن اخواتكن الصغيرات سيكون حظهن من هذا التجدد أكمل وأجمل

أما وقد لمست موضوع التجدد فقد اخترت أن أقول كلمة فيه على أمل أن تساعدنى الظروف فأتابع الحديث فيه والحدوث ذوشجون . أو أطرق مواضيع أخرى تناسب المقام

***

للمرأة تاريخ ، وما أحراكن أن تشكرن الله ألف مرة انكن من بنات اليوم . ولست أنصحكن أن تقرأن تاريخ المرأة لأسباب عديدة أهمها اني أخاف عليكن أن تتأثرن وتبكين على حظ الامهات والجدات من عهد جدتنا حوآء الى هذا الزمن الاخير . وأخاف أن تحقدن على الرجايل من عهد جدنا آدم الى هذا الزمن الاخير .. يبتدىء تجنّد المرأة أو عهد المرأة الجديدة من وم أصبحت حرة لان المرأة القديمة لم تكن الا أمة لم تكن الا سلعة تباع وتشرى ولم يكن عقد الزواج الا عقد عبودية للمرأة .. وإذا قلت أن المرأة كانت أمة أو كانت ملكا للرجل يتصرف فيها كما يشاء أما أو اختاً أو زوجة أو ابنة فلست أعني أن الرجل كان حراً يتمتع بالحياة وبحقوقه فيها كما يشاء وكما تقضيه سعادته ومصلحته . لا فان الانسانية باسرها تقلبت فى أدوار مختلفة من العبودية ولكن حظ المرأة من العبودية كان أكثر وأطول ، وكانت المرأة آخر من نال الحرية فقد مرّ زمان على الانسانية كان الناس فيه عبيداً بعضهم لبعض. كان الواحد عبداً لهذا وسيداً لغيره . بل كانوا في الحقيقة عبيداً للاوهام والخرافات . فلما تحرر العقل وأخذ يفكر ويبحث انتهى به الأمر الى أن أبطل سلطة رجال الكنيسة ، وألغى

امتيازات الشرفاء ووضع دستوراً للملوك والحكام واعتق الاسود من الرق ثم أعتق المرأة فالمرأة الجديدة حرة وعهدها بالحرية قريب . وقد أخذنا عن الغربيين في ما أخذناه عنهم رأيهم في المرأة فاعترفنا بتحريرها

إذا انشئت مدرسة عالية للبنات وجعلت برنامجها مثل برنامج أرقى مدارس الصبيان فلا يتأخر أحد من القادرين عن ارسال ابنته اليها . فارساله ابنته الى تلك المدرسة العالية اعتراف منه بان لها الحق المطلق أن تتعلم كما يتعلم ولده

إذا ألفت فرقة كشافة من بنات المدرسة فلا يخطر فى بال أحد من الوالدين اليوم أن يمنع ابنته من الانتظام في سلك تلك الفرقة لانه يعتقد ان لها الحق المطلق أن تتمرن على أساليب الكشافه ومبادئها مثل ولده

لو عنيت المدارس بالالعاب الرياضية وجعلت تمرن تلميذاتها على الركض والقفز والصراع والملاكمة والسباحة وتسلق السواري والحبال واستعمال السلاح فلست أظن أن احداً يمنع ابنته من الاشتراك في كل ذلك لانه يعتقد أن لها الحق أن تلعب مثل ولده

لست أظن أن هناك أباً مهما كان جاهلا مستبداً يستطيع اليوم أن يكره ابنته على الزواج ممن يختاره لها لا ممن تختاره هى لنفسها

لا ينتظر اليوم أن رجلا كبيراً في السن أنفق شبابه في سبيل الشيطان الرجيم يستطيع أن يتزوج فتاة صغيرة طاهرة

لا يستطيع الرجل فى الشرق بعد اليوم أن يدعي أنه المسئول عن شرف امرأته واخته وابنته فيهيمن عليهن في حركاتهن وسكناتهن ، لا يعاملهن الا بالعنف ولو استطاع لحجب عنهن النسيم غيرة عليهن وايذاناً بعدم ثقته بهن

يجب أن يكون للمرأة شرف شخصي ويجب أن تكون هي المسأولة عنه . واذا كانت كذلك فلها الحق المطلق أن تكون حرة لا ان تفنى نفسها في زوجها أو أبيها أو أخيها . لا تستطيع المرأة أن تكون شريفة الا اذا كان لها شرف شخصي ولا تحافظ على شرفها الا اذا كانت هي المسؤولة عنه ولا تترقى في افكارها وآدابها واخلاقها الا اذا كانت حرة ... هذا من حقوقها الطبيعية التى لا يجوز لاحد أن يضن بها عليها أو يسلبها اياها

اظن انى كدت اجاوز ثلاثة ارباع الساعة فاكتفي بهذا القدر الآن

القدس خليل السكاكيني

الغرفة المسكونة

في ثكنة « تاورهل »

[حكاية حقيقية مروعة عن غرفة « مسكونة » في ثكنة انجليزية بمستعمرة سيراليون من غرب افريقية . قصها ضابط اقام أهله في المستعمرة منذ انشائها واقام هو بها بضع سنين . وبقيت هذه الثكنة قائمة حتى أوائل الحرب الماضية]

* * *

قال الضابط : بقيت هذه الغرفة مدة عشر سنوات مصدراً لازعاج ضباط الحامية وما تلا ذلك من حوادث القتل المخيفة . كتب أحد مشاهير الكتاب كتاباً عنها سنة ١٨٣٦ سماه « قبر الرجل الابيض » وأجاد في وصفها ولكنه لم يعرف الحقيقة كلها . وان كنت أنا اسردها الآن على تمامها فما ذلك الا لأن آخر رجل اتصل بها وجلا لنا اسرارها ذهب في سبيل من ذهب قبله . وكان قد قص عليّ الحوادث التي جرت له فيها فأضفت اليها ما عرفت بنفسي مدة اقامتي بسيراليون

من أشهر أشخاص هذه الوقائع رجل أفريقي اسود الوجه ولكنه أبيض الروح كما كان الضباط يقولون وكانت سوق النخاسة رائجة في ذلك الزمان فسطت سفينة حربية انجليزية ذات يوم على سفينة للنخاسين وخلصته من أيديهم ثم علّم وربي وسمي بويل على اسم جراح انجليزي كان هناك فحفظ بأخلاقه العالية شرف ذلك الاسم . وكان محباً للعمل فما زال يعمل بهمة حتى أصبح من كبار تجار المستعمرة وأصحاب السفن فيها وكان منزله مضيفاً للاوربيين

وكان في الحامية ضابطان «عظيمان» ولم يكن في المستعمرة كلها سوى سيدة أوربية واحدة تعرفت بالضابطين فكانت تزورهما في الثكنة ويزورانها في منزلها

وأولم المستر بويل ذات ليلة وليمة في منزله العامر بمدينة فريتون عاصمة المستعمرة حضرها معظم ضباط الحامية والضابطان العظيمان في الجملة . ولكن أحدهما لم يطل المقام لانه كان على ميعاد ثم تبعه الضابط العظيم الآخر

اما الباقون فسهروا حتى ساعة متأخرة من الليل وهم يشربون ويقصفون ثم انصرفوا الى الثكنة وكانت على رأس تلة مشرفة على المدينة . فلما بلغوا عتبة مطعم الضباط صاح أحد

صغار الضباط قائلا « انظروا الى الكولونل لابساً ثياب النوم وواقفاً هناك فلابد انه يمشي في نومه » . فاجابه ضابط أكبر سناً « ليس الامر كذلك بل ان الضابط كثيراً ما ينتابه الارق فينهض من سريره مروضاً لعل الارق يفارقه »

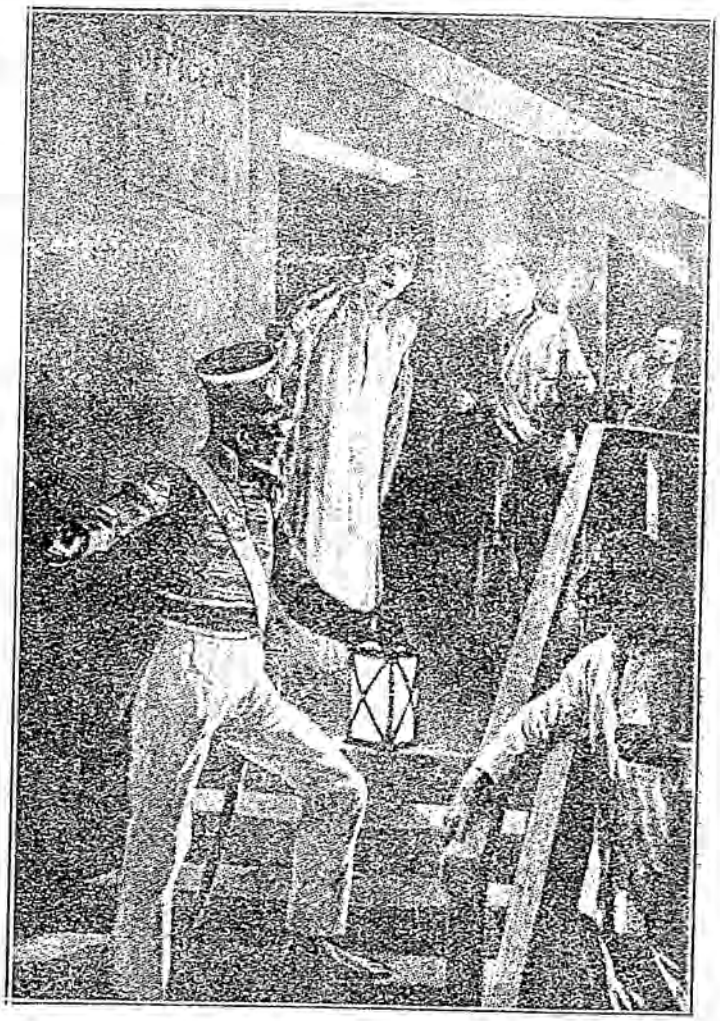

« ولكن أيقظهم قبل الاوان هيزعة بين الخدم فنهضوا من اسرتهم مذعورين ليروا ما الخبر »

وبعد دخولهم أيقظوا الساقي فشربوا « دوراً » أخيراً وقصد كل منهم غرفته للنوم . ولكن أيقظهم قبل الاوان هيزعة بين الخدم فنهضوا من أسرتهم مذعورين ليروا ما الخبر فاذا هو برون أحد الضابطين العظيمين وهو برتبة ماجور مذبوحاً في سريره . وظهر من الفحص انه هوجم في سريره وذبح ولكنه تمكن من الانسلال ماشياً في « الفرانداً » وسقط ميتاً عند رأس السلم المؤدية الى الحديقة

فانقلب الضباط كلهم جواسيس يسألون ويستخبرون لعلهم يهتدون الى الجاني فذهب تعبهم سدى . وسجلت هذه الحناية في سجلات ادارة المستعمرات وقيل فيها « ان الجاني

مجهول » . وهكذا قيل عن غيرها مع انه كان بين المحققين افراد كان في وسعهم كشف هذا السر لو ارادوا

وبعد انتهاء التحقيق الرسمي بايام مات الضابط العظيم الآخر وكان قائد الحامية . فشهد طبيب الحامية بانه مات بنوبة صرع ولكنهم وجدوا في صندوقه ثياباً ملوثة دماً وقال أحد الخدم انه كان في يده زجاجة عند ما وجد ميتاً . فاعتقد الضباط لذلك ان الرجل مات مقتولا

ورقى أحد الضباط الى رتبته وعين قائداً للحامية ولكنه رفض الاقامة في غرف الضباط العظام وفضل غرفاً أقل اتقاناً منها خيفة على نفسه ثم لم يلبث ان سافر من المستعمرة فنزل خلفه في غرف الضباط العظام . ولم يطل مقامه بها حتى غادرها مصرحاً بأنها غرف «مسكونة» . وكان هذا الضابط معروفاً بشدة مراسه وقوة شكيمته قضى معظم عمره بعيداً عن الناس يتنقل بين الحاميات والمعسكرات النائية فلم يكن تخويفه بالامر السهل . ومع ذلك أقسم الا ينام في غرفته ولو أعطي قدراً كبيراً من المال . وقد قال لاحد رفاقه « كيف ينام المرء وهو يشعر كل ليلة بيد لينة تتلمس عنقه » . فقال صاحبه « هذا ما كان يخيل اليك » فحملق فيه الماجور وقال وهو يشخر وينخر « يخيل اليّ ؟ اتراني من اولئك الذين يتركون تلك الغرفة الجميلة لمحض وهم أو خيال ؟ لم تمكني الفرص من درس ما يسمونه علم الغيب ولكن في تلك الغرفة شيئاً استعفي من مقابلته مرة أخرى »

ففتشت الغرفة تفتيشاً دقيقاً ثم وضع عليها حرس وتركت فارغة . ولم يمض الا القليل حتى رفض جنود الاورطة الحراسة في ذلك المكان ولم يجد فيهم كلام الجاويشية وتهديد الباشجاويشية وقصاص الضباط لهم . واقسم الذين عهد اليهم في الحراسة سابقاً انهم كانوا يسمعون حركة في الغرفة . وتطوع بعض صغار الضباط للحراسة فأيدوا أقوال الجنود . وعملت تجارب عديدة ظهر منها ان كل شيء يوضع على المائدة بجانب السرير يسقط الى الارض وكل ما يوضع على السرير نفسه فاما ان يقلب رأساً على عقب واما أن يزحزح من مكانه . وكان الفراش يوجد في صباح كل يوم كأن احداً جلس عليه في اثناء الليل . وعلى شدة ارتياب قائد الحامية في هذه الحوادث استدل في آخر الامر على ان الغرفة ليست غرفة عادية فاقفلت هي وما يجاورها من الغرف وهجرت مدة

وبعد ذلك بقليل جيء الى مدينة فريتون للخدمة فيها بجندي مشهور اسمه « باريمور » قالوا في وصفه انه معروف ومرهوب من ساحل الذهب في غرب افريقيا الى الصين وكان كثير

الشرب وربما كان أشهر الجنود الذين خدموا في حملة الاشنتى المشهورة بقيادة السر جارنت ولزلي

ولم يقم فى الشكنة طويلا حتى سمع بحكاية الغرفة « المسكونة » فتطوع حالا لينام فيها وفى الصباح وجد ملقى على الارض وفاقد الصواب ومجروحاً وسيفه مكسور تحته . وبقي زمناً طويلا وهو لا يكاد يعي شيئاً فلما شفي قص حكاية ما جرى له وفحواها انه حاول ان يبقى طول ليلته مستيقظاً ولكنه أغفى ثم نبهه من نومه يد ناعمة تلمس عنقه وكان سيفه فى يده فطعن في جهة اليد التى لمسته فراحت الطعنة خائبة ولكنه لما كان واثقاً بوجود احد فى الغرفة غيره بقي يطعن فى الهواء هنا وهناك حتى سقط الى الارض بضربة شديدة. وهو يظن ان سبب جرحه وانكسار سيفه وقوعه عليه

« ولكن فى تلك الغرفة شيئا استعصى من مقاومته مرة أخرى »

ثم سافر باريمور الى انجلترا وقدم مدينة فريتون ماجور اسمه كروكرن للخدمة فيها فاخبر بأمر الغرفة فاختارها لسكناه ولم يعبأ بما قيل عنها . وبقي فيها سنة كاملة يأكل وينام ويقرأ من غير ان يزعجه مزعج . وفي نهاية مدة خدمته سافر الى انجلترا صحيح العقل والجسم كما كان عند مجيئه الى فريتون

وكان على أثر ذلك أن تضعضعت كلمة القائلين بأن الغرفة « مسكونة » وفارقهم الانصار وكثر القائلون بأن الغرفة ليس بها علة وانما العلة بأعصاب ساكنيها

وما زال قواد الحامية يجيئون ويروحون ويحتلون الغرفة مدة اقامتهم من غير أن يصابوا بسوء وبقوا على ذلك الحال عشر سنوات فمنهم من سكنها سنة أو أكثر أو أقل ولم يشك أحد البتة

ولكن جاء بعد ذلك الماجور جيمس ميكلدفر وكان رجلا طويل القامة أشيب الشعر لايكلّ من العمل . ولم يمض عليه في الغرفة شهراً حتى بدأ رفاقه يرون تغيراً في حركاته وسكناته كأن به علة خفية . وكان من عادته أن ينخر بسرعة اذا تكدر من شيء فلاحظ أصحابه أن نخيره بات أشدّ وأطول مدة مما كان قبلا . ثم غيّر طعامه وأقل من الشرب وأكثر من استشارة طبيبه ومن شرب الدواء والتصعيد في التلال المجاورة ليتعب نفسه . واشتد على الجنود الذين كان يشكون اليه وقضى ساعات فراغه في وضع عقوبات جديدة شغل بها نفسه وصغار الضباط والجاويشية الذين تحت أمرته

وحاول بضع ليال أن ينام في « الفراندا » ولكنه كان يخاف رطوبة الهواء في الليل . ونحف جسمه فأشار عليه الكولونل بأن يأخذ أجازة شهر أو نحو ذلك فأجابه وهو متحمس وخارج من عنده الى غرفته « لست أفكر في السفر قبلما أتمّ هذه المسئلة » فجعل الذين سمعوا قوله هذا يتقولون الأقاويل الكثيرة في تلك المسئلة وفيما عسى أن تكون

والحقيقة ان ليالى الماجور كانت تروّعه فكلما أطفأ المصباح لينام لزمه « شبح » مخيف لايفارقه وكان قد جرب كل مايخطر بباله وكل ماوصف الطبيب له فلم يجده ذلك نفعاً وأصر شديد الاصرار على البقاء في الغرفة . وفي أحد الاصباح وجده خادمه عارياً يهذي وشفتاه مخضبتان بالدم والزبد يخرج من بينهما وهو يتكلم عن أيد ناعمة قبضت على عنقه ولم يطل به المطال حتى توفي

وبعد وفاته بسنتين (سنة ١٨٣٢) عين ضابط اسمه ثايفس في الحامية وكان على جانب عظيم من كرم الاخلاق فاكتسب قلوب الجميع ولكنه ما عتم أن تغير وقسا قلبه وغلظت كبده على مرؤوسيه حتى صاحوا مستجيرين منه

وكان بعد ما احتل الغرفة المعهودة قد أمر فغيرت أقفالها . ثم لم يلبث الذين حوله ان جعلوا يتحدثون عن أشياء غريبة يعملها في الحديقة ليلا . وطرق خبر هذه الاعمال اذن الكولونل فلم يبد ولم يعد فى أول الامر لانه قال في نفسه مادام الماجور يقوم بواجباته خير قيام فلا أبالي أنام في غرفته أم لم ينم . ولا يهمني أن يكون مصيره الى جهنم

وشكوا الى الكولونل ذات يوم أن الماجور سكر واشتدت عربدته الى حدّ لا يطاق فدعاه اليه وأنبه وقال له أن عمله هـذا لا يليق بالرجال . فلم يجب الماجور بكلمة ثم خرج من عند الكولونل وهو يدندن ويهمهم . وفي تلك الليلة وجد ميتاً في غرفته وقد شهد الجرّاح أن ليس على بدنه عـلامة ما يستدلّ بها على سبب الموت . وكل ما رئي عليه شيء من الدم على عنقه فقالوا أنه خرج من فمه وأن سبب الموت المرض المعروف باسم « الالم الفؤادي »

وبعـد ذلك أخرجت الغرفة من ادارة الثكنة وتركت خاوية خالية لا يدخلها أحـد ولا يمر بها إلا الجريء في رائعة النهار وذلك في أوقات نادرة وعلى سبيل « الفرجة »

ثم مرت عشر سنوات على أول فاجعة فعين طبيباً للحامية الـكبتن طمسن (عمّ الضابط راوي القصة) فقصت عليه قصـة الغرفة « المسكونة » فحـكم بانها نقطة ضعف يجب أن تزال قائلا أنك لا تستطيع أن تعلم السود من أهل المستعمرة ترك خرافاتهم الـكثيرة اذا ظهر لهم أنك أكثر تعلقاً بها منهم وأن صولتها عليك ليست دون صولتها عليهم

فاستأذن الكولونل في سكنى الغرفة فاذن له فاصلحها ورممها وأقام فيها حفلة شائقة ايذاناً بافتتاحها

وفي ذات يوم دعاه صـديقه المستر بويل لزيارة زنجية كبيرة السن في حالة النزع وقال له انها تعرف عائلتكم وقد خدمت في صباها أحد أقاربكم في المستعمرة . وهي لا تريد منك دواء إذ لا نفع للدواء ولـكن عندها سراً تريد أن تفضي به اليك وحينئذ تموت مستريحة . وستقول لك أشياء كثيرة لا تصدقها ولـكنني أعلم أنك لن تظهر أمامها بمظهر غير المصدق لاقوالها

عاد الطبيب المريضة ثم عاد من عندها متغيراً عما عرف به . فبدلا من أن يرى جذلا طلق الوجه بشوشاً كعادته رئي كئيباً كاسف البال مغتما . والذي زاد كآبته أن رفاقـه من الضباط والاطباء ناصبوه العداء لهجره اياهم في ساعات فراغه وقضائها بين جماعة الزنوج المناكيد كما وصفوهم

ذهب ذات يوم الى غرفته وأكب على كتبه فلم يستطع القراءة والدرس فجعل يقلب عينيه في الغرفـة تقليب المستطلع ثم نهض من مجلسه يفتش في زواياها وينقب وخرج الى الفراندا يتمشى حتى انسدال الظلام فنزع ملابسه عنه واضطجع في سريره لينام ولـكنه بقي محملقاً في الظلام حتى كلت عيناه ولما يلبث أن نام

فحلم حلما كان قد رآه مراراً من قبل وهو أن يداً باردة تمتد الى فمه وأنفه لتخنقه . فافاق فجأة ووجد نفسه قد سقط الى الارض . فعرف حينئذ حق معرفـة ان ذلك ليس بالحلم فارتاع وانتابه خفقان وصداع وشعر بانه لا يستطيع النهوض من مكانه . وجالت في خاطره اقوال الزنجية

أيصدقها أم يكذبها ولكن تردده لم يطل فنهض من مكانه وهو يقول هذا كلام هراء واتهم نفسه بالجبن

أما ما قالته له الزنجية فهو أن الغرفة « المسكونة » على سوء سمعتها لن يناله منها أذى البتة. وأخبرته بان فيها « شيئاً » شريراً وبماهية ذلك الشيء . قالت : ولكن « الموت الاسود » لن يضيرك لان دم عائلتك يقيك. انما يضار ويمات قساة القلوب الذين يعاملون الزنوج المساكين معاملة الاقذار »

« فعاد الى المائدة ووضع المصباح عليها وحاول القراءة فلم يستطع جمع افكاره »

ثم مد يده الى المصباح فاضاءه وحمله ودار في جوانب الغرفة يفتش فيها مرة أخرى فوجد خزانة منقورة في أحد حيطانها ففحصها فحصاً مدققاً . فرأى انها لا تصلح لشيء على كون بابها جديداً وذلك لان العمال نسوا اصلاح جدرانها فتشققت وأشبعت رطوبة

فعاد الى المائدة ووضع المصباح عليها وحاول القراءة فلم يستطع جمع أفكاره وسرحت أفكاره بالرغم عنه الى الماضي فاعاد في ذهنه الفواجع التي حدثت في الغرفة . فصاح بصوت عال « يا للغرابة لابد أن تكون الزنجية صادقة » واعتقد أن الذين ماتوا في تلك الغرفة كانوا من الذين « عاملوا الزنوج معاملة الاقذار » كما قالت له

وكان لا بد له من أن يقرر هل يبقى في الغرفة منتظراً حدوث شيء أو يأمر في الغد بهدمها

حتى لا يبقى منها أثر . وكانت الزنجية قد قالت له « لا يحل هذه العقدة الا شجاعة رجل طيب » وعاد ففتح باب الخزانة مرة ثانية وجعل ينظر الى الداخل وقال في نفسه « ترى ما وراء ذلك الحائط ؟ وما تحته ؟ ورجع الى مكانه ونظر الى ساعته فوجد أن لم تمر ساعة منذ اضطجع لينام. فاضطجع ثانية محاولا النوم اذا استطاع اليه سبيلا . فاغفى قليلا ثم أفاق على يد تمس حنجرته فارتعدت فرائصه وزاده ارتعاداً علمه بماهية تلك اليد من الزنجية

فنهض من سريره ومد يديه فقبض بيده اليمنى على شيء جامد . فأخذ العرق يتصبب من وجهه وحاول اضاءة المصباح بيد واحدة فلم يستطع لانها اليسرى . وشعر بان يده اليمنى قد شلت من شدة قبضتها على ذلك الشيء . فجعل يشعل عيدان الكبريت واحداً أثر واحد حتى تمكن بعد جهد كثير من اضاءة المصباح . وتناول بهدوء من المائدة سكيناً من آلات الجراحة كان قد أعده للطوارىء ونحر به ذلك الشيء فطفق يتلوى بين يديه بشدة وهو يعيد الكرة عليه ويجز سكينه في عنقه حتى فصل رأسه عن بدنه فاذا في يده رأس أفعى من صنف الكوبرا (القبرية) طولها خمس أقدام ووفيه جراب مملوء سماً . وبذلك انقضى كابوس « الموت الاسود » كما سمته الزنجية

ولما سقطت الافعى الى الارض سقط طمسن مغشياً عليه بجانبها من فرط التعب والرعب بعد أن زعق زعقة شديدة أيقظت خادمه فهبّ من رقاده مذعوراً لاغاثة سيده

من هو الرجل

من يكن رجلاً فالمذبذب ليس بالرجل . جلس معاوية بالكوفة يبايع على البراءة من علىّ ابن أبي طالب . فجاءه رجل من تميم فأراده على ذلك فقال « يا أمير المؤمنين نطيع احياءكم ولا نبرأ من موتاكم » . فالتفت معاوية الى المغيرة فقال « ان هذا رجل فاستوص به خيراً » . ونحن نضيف الى ذلك كلمة وهي « والرجل كذلك من يعرف الرجال كمعاوية »

اعط القوس باريها

قال الاصمعي كتب كتاب حكمة فبقيت منه بقية فقالوا ما نكتب فيه فقال « اكتبوا : يسأل عن كل صناعة أهلها»

التهريب فى الجمارك الانجليزية

بقلم موظف فيها

[من الغريب ان الناس الطيبين فضلا عن الخبيثين يحاولون التهريب من الجمارك حتى ولو كان الشيء المهرب « قزازة ريحة » أو « كرافتة »]

* * *

مهما يقل عن عمل موظفي الجمارك في الموانىء البريطانية فان السآمة ليست من خصائص ذلك العمل والتفتيش الذي يتولونه كل يوم في بضائع القادمين لزيارة انجلترا أو العائدين الى بيوتهم فيها

ويقدر ان البضائع التي تفتش لاتزيد على ١٠ في المائة من مجموع البضائع الداخلة . ومع ذلك فان القليل من البضائع يهرب الى البلاد ويعفى من دفع الرسوم . ذلك لاننا نحن الموظفين تنمو فيها حاسة سادسة بعد قضاء سنتين أو ثلاث سنوات في عملنا . وهذه الحاسة تمكننا من تمييز الاشخاص بعضهم عن بعض والحكم من سلوكهم وحركاتهم وهيئاتهم في هل يحاول أحد منهم تهريب شيء

وكل شخص له بضاعة في الجمرك يعطى تذكرة مطبوعاً عليها « كشف » الاشياء التي يؤخذ عليها رسوم كالعطور والاقمشة الحريرية والمشروبات الروحية . نعم انه يسمح للشخص بأن يدخل مقداراً قليلا من هذه الاشياء من غير أن تدفع عليه رسوم ولكن ينبغي قبل كل شيء أن « يؤشر » في التذكرة على البضاعة غير المعفية التي معه

تجيء سيدة ومعها « شنطتان » كبيرتان وتضعهما أمام الموظف الموكل بالتفتيش وقد بلغ الحنق والتضايق منها مبلغهما على سوء ظنهم بها وهي البريئة فى زعمها فتقول بصوت عال لا بضائع مهربة في شنطتي وتدفع الى الموظف التذكرة غير « مؤشر » عليها ولكنها تبقى كيسا معها بعيداً عن الشنطتين . والموظف الفطن يشعر بحاسته السادسة أن فى ذلك الكيس شيئاً من « الريحة » فيقول لها ولكن معك شيئاً من « الريحة » . فتجيب نعم معي حقان صغيران لاغير

ومن أفكه ما حدث لنا أن زميلا لي كان يفحص أمتعة سيدة بعد ضرب الرسوم الجديدة على البضائع الحريرية . وكان قد فتح كيساً صغيراً . وأول ما وقعت عليه عينه من محتويات

الـكيس « شال » حرير جديد . واذا كان جديداً وجب أن يدفع عليه رسم . فسأل السيدة :

— هل لبس هذا الشال

— كلا

— يجب عليك أن تدفعي عليه رسماً

— لا أدفع شيئاً

— لا تستطيعين الانتقال من هنا قبل دفع الرسم

فاعادت الشال الى الـكيس وتقهقرت الى مقعد فى الغرفة ظانة أن المسئلة انتهت عند هذا الحدّ . ثم تناولت الشال من الـكيس ولفته حول عنقها وعادت فعرضت أمتعتها للتفتيش وكنت أنا المفتش هذه المرة فسألتها :

— هل لبس هذا الشال

— نعم

وقد صدقت هذه المرة فخرجت من غير أن تدفع شيئاً !!

بين الحلم والجهل

لشاعر قديم

لئن كنت محتاجاً الى الحلمِ انني ... الى الجهل في بعض الاحايين أحوج

وما كنت ارضى الجهل خِدناً وصاحباً ... ولـكنني أرضى بهِ حين أحرَجُ

فان قال قومٌ إن فيهِ سماجةً ... فقد صدقوا والذُّلُّ بالحرّ أسمَجُ

ولى فرَسٌ للحلمِ بالحلم مُلجمٌ ... ولى فرسٌ للجهلِ بالجهلِ مُسرَجُ

فمن شاء تقويمي فاني مقوّمٌ ... ومن شاء تعويجي فاني معوّجُ

بحيرة الارواح

كان المكان الذي وصلنا اليه بعد مسير خمسة أيام في الخلوات يدعو الى شيء من الرهبة نظراً للسكون المطلق المخيم علينا . وقد اخترنا هذا المكان لصيد الوعل اذ قيل لنا انه كثير في هذه الجهات النائية . ويكفي أن نذكر اسم هذه الجهة لنشعر بشيء من الانقباض خصوصاً عند ماينتشر الظلام ويخيم على هذه الخلوات الممتدة الى « بحيرة الارواح » أو بحيرة الهيكل العظمي

فى هذه المناطق كثيراً ما يتفق اسم الجزر والبلاد والجبال والبحيرات والانهر مع وجود أساس معقول لهذه التسمية فبحيرة الارواح تبعث الى الظن بان هناك سبباً يتعلق بالارواح لتسميتها بهذا الاسم . ولولا أن شاهدنا آثار الوعل لفضلنا الرحيل عن هذه الجهة الى مكان يدعو الى بعض الانشراح

لم يكن على بعد مئات الاميال من كل جهة من النقطة التي نحن فيها سوى جماعة من الصيادين البيض كانوا يسيرون معنا في بادىء الامر ثم انفصلنا وسار كل الى نقطة معينة . فهم يبعدون عنا نحو الخمسين ميلا ولم يحصل صداقة بيننا وبينهم إلا جك السويدي الذي أظهر ميلا شديداً ومحبة عظيمة الى أحد رجالنا

مضى علينا ستة أسابيع كنا نخالها ستة أشهر اذ أن الوقت فى هذه الخلوات يمر ببطء شديد وكانت حملتنا مؤلفة من الاستاذ وزوجته الماهرة في الصيد ومني . وكان لكل منا دليل يصحبه كل يوم منذ طلوع الفجر الى غياب الشمس فى الصيد

كانت هذه آخر ليلة لنا في ذلك المكان إذ قد عزمنا على المسير في صباح الغد . وبينما أنا جالس في خيمتي كان الاستاذ يلقي شبه خطبة عن الاخطار التي تصادف الانسان في كونه يذهب الى الصيد بمفرده أو يصحب معه شخصاً واحداً فقط خصوصاً في مثل هذه الجهات النائية . وكان باب الخيمة مفتوحاً بحيث كان يتسرب منه رائحة الطعام وهو فوق النار . وكنا نسمع حركة حزم امتعتنا استعداداً للسير في الغد وكان على الشاطىء الجنوبي من البحيرة مركب مشحون من قرون الوعل الذي اصطدناه

عاد الاستاذ الى اتمام خطبته فقال : لنفرض أن اثنين ذهبا معاً للصيد في الخلاء وحدث حادث لاحدهما لاسمح الله فان الثاني لا يمكنه أن يقدم البرهان على صحة ما يرويه عند رجوعه

ثم استمر في خطبته بما لايخرج عن هذا الموضوع حتى تولاني الملل فاخذت أفكر في أمور شتى غير ملتفت الى كلام الاستاذ ومن حسن الحظ أن الاستاذ كان يكره أن يقاطع أثناء حديثه فكنت أكتفي من وقت لآخر أن اهز له رأسي علامة الموافقة مع أني لم اكن فاهماً شيئاً مما يقول

وبينما كنت سارحاً في تصوراتي والاستاذ مجتهداً في خطبته التي لم يشأ أن يختمها رغماً عن مرور ساعة وهو يتكلم اذا بنا نسمع على قرب منا وقع أقدام مسرعة وأصوات غريبة . وفي الحال ظهرت زوجة الاستاذ على باب الخيمة وفي يدها البندقية وهي تقول : هيا اسرعا . هذا روشتون . كنت نائمة وقد صحوت على الضجة . قوما وانظرا ما الخبر . يظهر ان حادثا قد وقع . ولم تكد تتم كلماتها المتقطعة حتى كنا خارج الخيمة مسايرين ببنادقنا . فسمعت الاستاذ يقول كانما اكتشف أمراً جديداً: « انه روشتون » ثم نظرت فرأيت الدليلين يحملان رجلا كان يتكلم بصوت يدل على الرعب كلاما غير مفهوم وكان هذا الرجل روشتون بعينه

بحيرة الارواح

لا يمكنني ان انسى مدى الحياة ذلك الحادث الفظيع . وبعد أن اجلسوا روشتون على الارض أخذ يتكلم كأن قوة خفية كانت تدفعه الى أن يقص هذا الخبر المدهش وقد فهمت السبب الذي كان يدفعه الى الكلام بهذه الصفة الغريبة عندما تمعنت في وجهه ورأيت علامات الرعب الهائل بادية عليه . كان روشتون يتكلم بشدة ويبحث عن جمل قوية تؤيد تفاصيل هذا الحادث الذي لم يره سواه هو ... وانسان آخر ... معه

قال دليل الاستاذ لروشتون وقد رأى ما هو فيه من سوء الحال: يمكنك أن تروي القصة بعد ان تأخذ شيئاً من الوسكي وقليلا من الطعام فاجابه روشتون بنفس لهجته الغريبة : كلا . أريد قبل كل شيء أن اتكلم مع انسان مثلي . مع انسان يتكلم ويرد علي ويفهم حديثي . منذ

ثلاثة أيام لم أر سوى الاشجار فلم يعد في وسعي العيش بدون أن اتكلم . آه ما أشنع هذه الاشجار الصامتة . فمن هنا . من هنا . توجهنا معاً ...

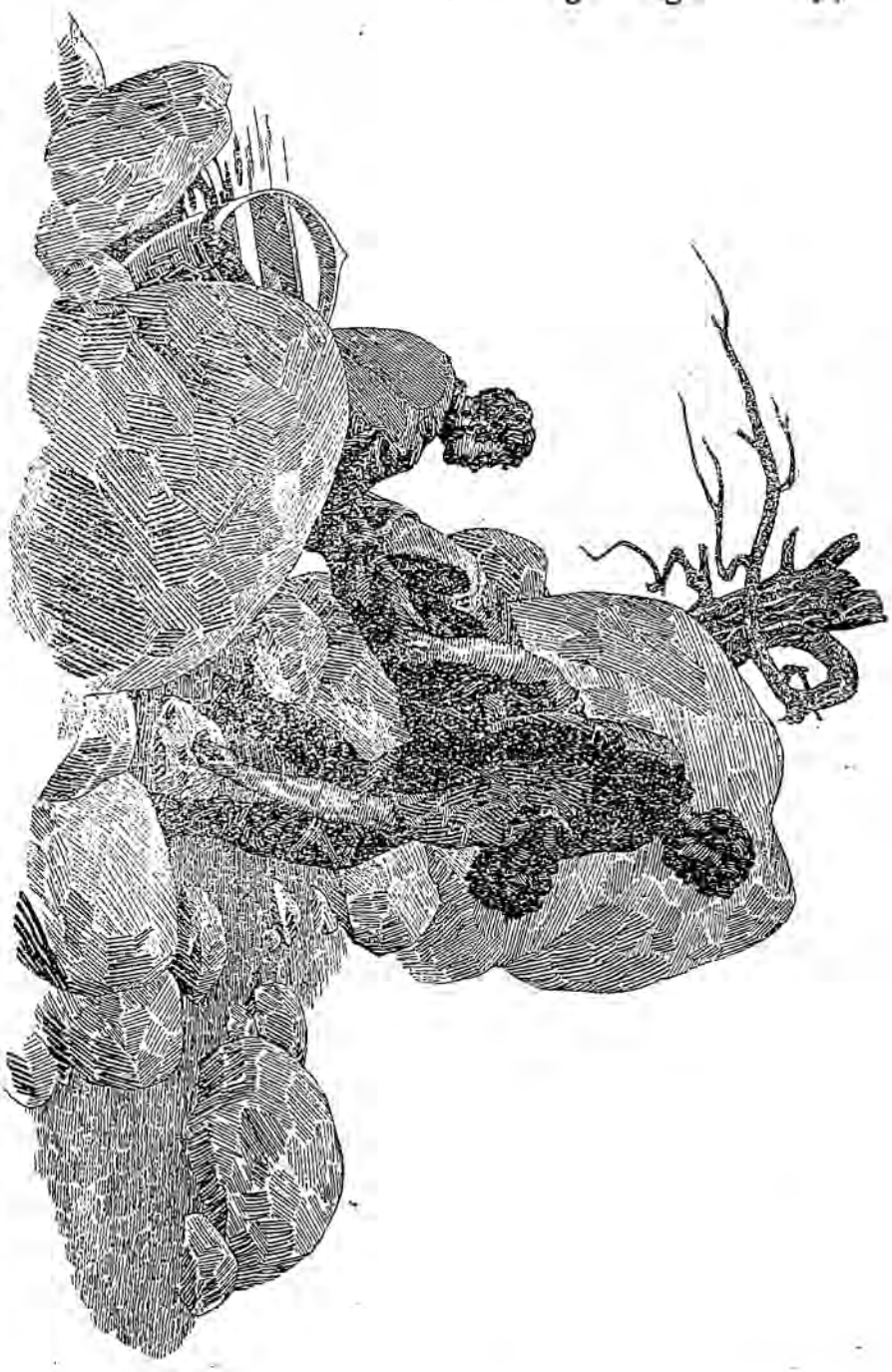

« ورأيت الخارجين منهكين يجر رجل من القارب ثم مرت هنيهة ساد فيها سكون تام لم أسمع وسطه سوى تنفس الارواح الصغيرة على الرمل »

ثم أخذ ينظر نظراً حائراً الى ما حوله وقد ثبت لنا أنه يستحيل أن نتمكن من منعه عن الاستمرار في الحديث الذي كان لابد من اتمامه حتى تنتهي تلك القصة الغريبة التى كان يرويها لنا . وكانت مهمته مما يبعث الرعب في النفوس . ويظهر أن قصته كانت صحيحة ولكن يظهر أيضاً أنه كان يحاول اخفاء بعض أشياء لولاها لكانت حالته النفسية أخف اضطراباً . وكان من حين لآخر يتساءل هو نفسه قائلا : هل الذنب ذنبي ؟

ولم يكن ينتظر منا جوابا بل يجيب نفسه بنفسه معتمداً البراهين التى تثبت صحة أقواله . والظاهر أن الرؤيا قد انطبعت بشدة فى ذهنه الى درجة أنه كان يستطيع أن ينقلها لنا بواسطة الفكر وحده بحيث كنا نتخيل الحادثة قد وقعت أمامنا بفظاعتها وشناعتها وبالشكل الذي يحاول أن يعبر لنا عنه مع ما في تعبيره من العجز . ولم نكن لنستطيع ازالة هذا التخيل من أفكارنا التي تأثرت الى درجة كبيرة على ما يظهر من التيار أو التموجات المنبعثة من أفكاره

وملخص موضوع قصته ينحصر في أنه كان وجاك راكبين الزورق حتى بعدا عن الشاطىء ثم تنبها الى الخطر الذي أصبحا فيه فارادا الرجوع وكان كل منهما يريد الرجوع من طريق . فاختلفا في الامر وتشاجرا ثم قذف جاك بنفسه من الزورق ولم يعد يراه أحد . ثم عاد روشتون الى الشاطىء وأخذ ينادي جاك مراراً بدون جدوى . فأخذ يشعر بشيء من الانقباض يزداد شيئاً فشيئاً حتى خيل اليه أنه يرى أشباحا أو أرواحا تنظر اليه وتتبعه في الظلام الدامس ولم تفتأ تظهر وتغيب حتى طار عقله من هول ما رآه الى أن رأى اخيراً روح جاك تنظر اليه بوعيد وتهديد فكان الليل بطوله يجلس بدون نوم أمام نار يشعلها خوفاً من ظهور الارواح ثم لا يصدق أن الشمس قد طلعت حتى يسير مسرعا فى النهار متجها نحونا حتى وصل أخيراً وهو على آخر رمق من الحياة

هذا ملخص تلك القصة التي استمر يرويها لنا زهاء الساعتين وهو يرتجف من الهلع وبعد قليل جلسنا نتناول الطعام وفي الصباح شددنا الرحيل عائدين الى بلادنا

عدنا بعد عام الى نفس تلك الجهة المسماة بحيرة الارواح فاخبرني دليل الاستاذ أن جثة جاك قد وجدت فيها بعد طافية فوق الماء وكان بين كتفيه طعنة خنجر

أما روشتون فقد أصيب بالجنون وبعد شهر من رجوعه الى المدينة كان من ضيوف مستشفى المجاذيب حيث لم يزل فيه الى الآن

(عن مجلة « اعرف كل شيء » الفرنسوية) اميل عبده

تفسير الاحلام

عود على بدء

[هذه نبذة أخرى عن الاحلام وتفسيرها كما تفسرها الكونتسه سركوف وتنشرها في مجلة بيرصون الانجليزية الاسبوعية . وربما اتبعناها في جزء قادم بنبذة عن الاحلام وتفسيرها عندنا]

***

تبديل الثياب — اذا حلم رجل عمره دون الثلاثين بانه يبدل ملابسه لحضور حفلة ما فتفسيره ذلك أنه سيغير منزله أو عمله وينتقل الى منزل أوعمل أرقى من منزله اوعمله الحاضرين واذا حلمت فتاة عزباء بمثل ذلك فتفسيره انها ستلاقى عن قريب رجلا يغير مجرى مستقبلها كله واذا كانت متزوجة أو موظفة فالمعنى أنها ستصادف امامها عقبات ليست بسهلة

الأكل — حلم الأكل في النوم حلم مشؤوم لكن رؤيا المأكولات دون أكلها تبشر بالخير . ورؤيا أناس يأكلون تبشر الرائي بترقية في السلم الاجتماعي

البيض — رؤيا البيض في المنام مشؤومة على الغالب ولكن اكلها هو الشيء الوحيد الذي يبشر الآكل بالغلبة في نضال مع الاقران . ورؤيا سلّ ملآن بيضاً نيئاً تفسر بان صديقا أو قريباً لك تحوم حولها اشاعات كاذبة فيما يخصّ سلوكهما . ورؤيا طبق من البيض المطبوخ معناها أن الناس يتقولون فيك الاقاويل الكثيرة

الفيل — اذا حلم رجل دون الثلاثين بانه رأى فيلا أو ركبه فالتفسير انه سيعرض عليه منصب في الهند او في افريقية . واذا حلمت بذلك فتاة دون الثلاثين فستتزوج رجلا اعلى طبقة منها . واذا كانت متزوجة فالمعنى أنها مقدمة على مشروع يفوق طاقتها ولابدّ أن تفشل فيه

صاحب عمل — اذا حلم شخص بانه صار صاحب عمل فالمعنى أن عمله سيتغير الى أحسن منه أو اردأ

رؤيا عدوّ — اذا حلم شخص برؤيا عدوّ له فالمعنى أن الخصام سيشتدّ بينهما

الخطبة — اذا حلم فتى أو فتاة بانهما خطبا فتفسير ذلك بانهما قادمان على أوقات سرور واذا كان الحالمان متزوجين فالمعنى أنهما سيقعان في خطاء يورثهما الندم

(البقية على الصفحة التالية)

شاعرة انجليزية

وميسون النجدية

تمنت فتاة انجليزية مثلما تمنت ميسون النجدية . فقد تمنت ميسون بيتاً تخفق فيه الرياح وعباءة تلبسها مقرورة العين وكسرة عيش في بيت « ملك » وصوت الرياح العاصفة . وكلباً ينبح . وجملاً صعباً . وحبيباً من أهلها نحيفاً — وفضلت هذه الاشياء كلها على ما كان يحفها من الجلال والنعمة والرخاء في قصر معاوية

وتمنت فتاة انجليزية أماني لا تفرق عن اماني اختها البدوية الاّ في الغواشي التي هي من مقتضيات الحضارة المصرية .فتمنت في أبيات نشرت في مجلة انجليزية ما يأتي بعنوان « شوق القلب » :

« حقاً ليس كثيراً عليّ أن اسأل شيئاً قليلا لا اسأل غيره

وسؤلي كوخ مبيض على اكمة وحوله أشجار تغرّد عليها الاطيار

وسقف احمر دافىء يعترض الافق الازرق وتخفق فوقه السحب البيض

وشبابيك خضر عليها سجوف زاهية الالوان

وطريق متعرج من الطوب المستوي القرمزي اللون بين قفران النحل والنحل يطنّ فيها

وساعة في الردهة تدق حتى ساعة مجيئك »

وكاف الخطاب في مجيئك عائدة على حبيبها المستتر في ضميرها . وتكاد الامنيتان تكونان واحدة . فكأن الشاعرة الانجليزية قرأت ابيات ميسون النجدية فعارضتها بما ترجمناه عنها نثراً

(بقية المنشور على الصفحة ١٤١٧)

الانفجار — رؤيا الانفجار أو سماعه تنذر بالمرض

السقوط — الشعور بالسقوط في النوم نذير بالشرّ . والسقوط ينذر الساقط اذا كان رجلا دون الثلاثين بانه غير مفلح في عمله وانه يجب عليه أن يغيره . واذا كان فتاة دون الثلاثين فالمعنى أن صديقاً لها من أهل النفوذ سيغدر بها . واذا كانت فوق الثلاثين كان التفسير أنها سترتكب خطاء في أمر يسير ولكنه يفضي الى عواقب وخيمة

التغزل بالخريف

ما تغزل شعراء العرب الاّ بالربيع . وكنّوا عن الشباب بربيع الحياة ورثوا قصير العمر بان سموا سنته ربيعاً كأنها كلها ربيع متجاهلين الفصول الاخرى . على أننا رأينا من بعض كتاب العرب الاقدمين من سمى سنة الشيخ خريفا فعل الكتاب الانجليز . ولا نحسبنا مخطئين اذا قلنا أن ما نظم شعراء الغربيين وخصوصاً الانجليز منهم في التغزل بالخريف يزيد كثيراً على ما نظموه متغزلين بالربيع

وآخر ما وقفنا عليه من تغزلهم بالخريف قول أحد شعرائهم :

« الغابات صامتة ذلك الصمت الوقور الذي يخبرنا بزمان الخريف الناعم أيام كانت العصافير تتطاير والجوز ناضجاً وفي الهواء المترقرق رائحة الخمر

انصت الى الريح التي تمرّ ضاحكة بصوت مرّوع وغناء خبيث وهي تغازل الورق ثم تبدده شذر مذر . فيا لخادعة الوغد

ان شبابهن مضى وبتن كهلات تحمرّ وجوههنّ حياء وخجلا أمام ذلك الفارس المجاهد (كناية عن الريح) الذي يكتسح العالم وهو راكب ركوب الظافر الذي لا يعرف شكا ولا خوفاً

وترى الدخان الازرق ينعقد في أعالي الجو من حطب الخريف المحترق . والهلال الشبيه بالعرجون القديم (وفي الاصل الاحدب كالمنجل) يموّه أبراج القرية بذهبه الخفيف

لقد اتمت السنة حولها او كادت بعد تورد الربيع وتنوير الزهر في يونيو . وهي الآن تضع ذكرياتها جانباً لئلا تمكث طويلا أو تنقضي سريعاً »

الشماتة بالمشيب

قالت أمامةُ يوم برقةِ واضلٍ ... يا ابن العذير لقد جعلت تغيَّرُ

أصبحت بعد زمانك الماضي الذي ... ذهبت شبيبته وغصنك أخضرُ

شيخاً دعامتك العصا ومشيعاً ... لا تبتغي خبراً ولا تُسخبرُ

اشعة اكس لانقاذ الحياة

حديث مع الدكتور هرش مدير ادارة

اشعة آكس فى مستشفيات نيويورك

لكاتب اميركي مشهور

[هذه الاشعة تستقصي مواضع الخلل في الجسم قبلما يشعر المرء بها ولو تركت وشأنها لكانت سببا إلى المرض والموت . فهي تكشف قرحة او سرطانا في المعدة وهما صغيران بقدر الحمصة وتكشف مبادىء التدرن أو السل]

***

دخلت غرفة فيها هذه الاشعة لاستقصاء الامراض فماذا رأيت ؟ دخلت غرفة مظلمة قد أحكم سد منافذها بحيث لا يدخلها نور فرأيت نوراً مخضراً ملقى على حجاب مستطيل طوله ١٧ بوصة وعرضه ١٤ . وفي وسط هذا الحجاب أو الستار اخيلة أو ظلال خضراء وسوداء وصورة قلب حيّ ينبض نبضه المعتاد . وحول الحجاب اخصائي في الاشعة وبضعة أطباء غيره وفي وسطهم مصارع قد عري الى خصره وظهره متجه الى حاجز خشبي وراءه أنبوبة مفرغة من الهواء وهي مصدر أشعة اكس . وقد جلس أمام المصارع مساعد الاخصائي وهو لابس «مريولا» وقفازين (كفين) من الكاوتشوك والرصاص لصيانته من الاشعه عند تحريكه الحجاب لرؤية القلب من جميع زوايا النظر

الكلّ سا كتون وإذا صوت يقول « تنفس تنفسا عميقاً » فتنفس المصارع فظهر على الحجاب خيال رئتيه وهما متمددتان . ثم قال الصوت « تنفس ببطء وأنت تزفر » ففعل وخلت رئتاه من الهواء . فالتفت الطبيب الذي يعالج المصارع الى الاخصائي وقال « لما كان جسم المصارع كبيراً فلست أظن أن في القلب تضخما لان حجمه مناسب لحجم الجسم » فرد عليه الاخصائي قائلا « لا أرى رأيك فان التضخم قد يكون اكثر بكثير مما يظهر للعين . فلا بد لنا من أخذ الصور بالفوتغراف (راد يوغراف) وحينئذ نستطيع أن نعرف حالة القلب الى حد كسور البوصة »

ثم أخذ العليل الى غرفة الراديوغراف . فسألت الاخصائي عن حالته فقال « ان حالته ذات خطر فقد أفضى اشتغاله بالالعاب الرياضية الى تضخم قلبه وتوسيع الاورطا (الشريان الاكبر

المتصل بالقلب) . ولكن لما كنا قد شخصنا مرضه في درجاته الاولى فاننا نستطيع أن نحسن حالته بتنظيم أحوال معيشته . ولا ريب أن حالته تتحسن كثيراً وأن عمره يطول»

وسألته سؤالا آخر عن الاشعة نفسها فقال :

أرى أن قصة أشعة أكس أعجب قصة رواها الناس . فقد افضى اكتشاف الاشعة الى تغيرات عظيمة في الطب والجراحة . والانسان يستعين بها شيئاً فشيئاً في الوقاية كما يستعين بها في العلاج والشفاء . فان في أجسام كثيرين منا خللا اذا اكتشف في وقته أمكننا اتقاؤه قبلما يتسع الخرق. وهناك أعراض تكره العليل على عرض نفسه للاشعة بلا تأخير ولا امهال فكثيرا ما يكون تشخيص المرض باكراً نصف المعركة

فبواسطة الاشعة نستطيع الآن أن نرى عمل هضم المعدة منذ ابتلاع الطعام حتى خروجه الى الامعاء . فنجد احيانا في المعدة أسباب سوء الهضم فنعالج الخلل منعاً لامراض أخرى أعظم من سوء الهضم . ونستطيع بها أيضاً أن نعرف مواضع أشياء كثيرة قد تحول دون دخول الطعام اليها أو خروجه منها فيستهدف المصاب للخطر . ونرى في الامعاء مكان اعتقالها أو التوائها أو التحامها مما قد يبيت خطراً على الحياه عاجلا أو آجلا

وكانت القروح والنوامى السرطانية حتى عهد قريب تنبت في المعدة وتنمو فلا نتمكن من الاهتداء اليها حتى تتأصل فيها وتبيت غير قابلة للشفاء . أما الان فنستطيع أن نعرف مكان القرحة أو السرطان في المعدة وهما لا يزيدان على الحمصة في الحجم فنستأصلها بسكين الجراح

ونستطيع بها درس حركات القلب عن قرب حتى أصغر انقباضاته . وهذا من عظم الشأن بمكان لاننا تعلمنا أن النبض ليس دليلا صادقا على ضربان القلب كما كانوا يظنون قبلا . فان كثيراً من حركاته لا تظهر في النبض على الاطلاق . فقد عرف مرضى عدد نبضاتهم ٦٠ في الدقيقة وضربات قلوبهم ١٥٠ في الدقيقة . فاذا وجد الاخصائي أن حركات القلب سريعة الى حد أنه يجد صعوبة في تتبعها عمد الى مايسمونه « التصوير المتسلسل » وهو انه يصور حركات القلب صوراً كثيرة متتابعة بسرعة عظيمة ثم تحول الى صور بالسينما فترى كما ترى هذه الصور فاذا كان القلب متضخما كثيراً استطاع الطبيب درس جميع حركاته في اية سرعة أرادها

وإذا فحصنا القلب بالاشعة كما فحص قلب المصارع استطعنا أن نعلم هل شكله وشكل الاوعية الدموية الكبيرة المتصلة به ومركزها وانقباضها طبيعية . وقد يكتشف الاخصائي أحيانا انحرافاً قليلا في شكل الاورطا على هيئة نتوء صغير قد يكون مبدأ تكوّن كيس وهو المرض

المعروف بالتمدد الشرياني (أنيورزم) فاذا شخص المرض وعولج في أوانه امتنع تضخم الكيس والا أفضى ذلك الى الموت سريعا . والغالب أن يكون الموت فجأة بسبب انفجار في جدار ضعيف

وكثيراً مايشعر الشبان حول العشرين وهم على تمام العافية بأن في آذانهم صمما ثم لا يمضى إلا القليل حتى يفقدوا حاسة السمع تماما فيذكر أهلهم إذ ذاك لاول مرة أنهم أصيبوا بالتهاب بسيط في الاذان على أثر زكام أصابهم فلم يتنبهوا لهم فافضى ذلك الى صممهم . فلو أدركوا حينئذ أن النز من اذانهم عرض يحتاج الى معالجة لدلت أشعة اكس على حالة يمكن شفاؤها

كذلك يمكن استخدام الاشعة للتحكم في نمو الجسم . ولست اريد بهذا القول أننا نستطيع ان نزيد على قامة الانسان قيد انملة ولكن اذا كان قزم الانسان او زيادة طوله زيادة عظيمة على الحد الطبيعي ناشئين عن حالات مرضية يمكن شفاؤها كاختلال الغدة الدرقية او الغدة الصنوبرية فان اشعة اكس تميط اللثام عن العظم الناقص النمو او الزائد النمو وتكون هاديا للطبيب في معالجة المصاب

وقد تعرف رجالا كانوا في صغرهم مصابين بفقر الدم (انيميا) وسوء التغذية واضطراب عصبي عامّ فلما نشأوا لم يكتمل نشوءهم فبقوا صغار الاجسام كالاقزام . وقد تعرف على الضد منهم رجالا أدهشوا من حولهم فى سرعة نموّهم وخصوصاً نمو رؤوسهم حتى زادت نسبة نموها على نسبة نمو أجسامهم . ورجال مثل هؤلاء قد يصابون بامراض مختلفة كلما تقدموا سناً إما بسبب الاحوال التي أفضت الى زيادة نموهم أو لشدة وطأة النمو على نظام أجسامهم . فيمكننا الآن بواسطة أشعة اكس أن نعرف سبب سوء التغذية أو الانيميا أو تأخر نمو العظام أو زيادة نموها فنداوي المصابين على حسب ذلك

كذلك فحص نمو العظام بالاشعة في المعاصم وغيرها من المفاصل أفضل فى الدلالة على مقدرة الاولاد الطبيعية من أعمارهم . فبعض الامم يجعل الرابعة عشرة من السن سن البلوغ وفيها يسمح للاولاد بترك المدارس والشروع في العمل ولكننا نعرف من التجارب الكثيرة أن عظام ولد في سن الرابعة عشرة قد تكون مثل عظام ولد في سن العاشرة أو الثانية عشرة من حيث نموها . وعليه يجب استخدام الاشعة لمعرفة السن التي يجوز أن يسمح للاولاد فيها بالشروع في العمل . والواجب على الوالدين أن يستعملوها لفحص أولادهم بين سن العاشرة والرابعة عشرة أو الخامسة عشر اذا ظهر أنهم متأخرون في نموهم

واكثر ما تستعمل الاشعة له معالجة كسر العظام . فانها ترى الجراح مركز العظم المكسور

ومكان الكسر فيه واتجاه الكسر وعدد خطوطه إذا كان متعدداً وحجم القطع المكسورة وشكلها . وكان يهتدى الى هذه الامور قبلا بالجس قبل العملية وبعدها لمعرفة سير الالتحام وفي ذلك ما فيه من الالم للمريض . وكان يستحيل غالباً قبل الاشعة معرفة مكان الكسر تماماً في قاعدة الجمجمة أو فى الورك أو ايٍّ من فقرات الظهر مكسورة إذا كان الكسر في الظهر . واذا كان الكسر في المعصم أو في القدم تعذر عليه معرفة العظم المكسور فكان يعمل عمليته على غير هدى وكثيراً ما كانت لا تنجح فيشفى الكسر ولكن بعد أن يترك اليد أو القدم يابستين أو مشوهتين

اتفق منذ عهد قريب أن فتاة أصيبت بكسر في قاعدة الجمجمة على أثر حادث اصطدام في السيارة وفي الفقرتين الرابعة والخامسة من عنقها وتكونت جلطة دم على دماغها . وهي الا ن تعالج ولا أدري النتيجة بعد ولكن الدلائل كلها تدل على أن شفاءها سيتم بلا تشويه مابفضل هذه الاشعة . ففي حادثة مثل هذه يعين مكان الجلطة بالاشعة فتزال بفتح ثقب في الجمجمة

وتستعمل الاشعة اكثر ما يكون بعد ذلك فى امراض الصدر وخصوصاً التدرن الرئوي (السل) . فان الفحص الطبيعي الخارجي لا يكفي في هذا الداء ولا فى ذات الرئة وماء البليورا (غشاء الرئة) وقرحة الرئة . ولا يمكن الاهتداء الى مواضع الاصابة الصغيرة الا بواسطة الاشعة . ومن المهم جدا في التدرن تشخيصه في أول درجاته . فكثيرا مايحدث أن الذي كان يظن ان فيهم مبادىء الداء والذين يشتبه في اصابتهم به هم في آخر درجاته

وهناك اعراض اذا شعر المرء بها وجب عليه أن يفحص صدره بالأشعة منها السعال الذي لاتسكنه الادوية وخصوصاً اذا كان يصحبه لهث عند أقل حركة وضعف عام وبصاق ممزوج بالدم وحمى عند المساء وعرق في الليل . ويجب ألاَّ ينتظر حتى تظهر هذه الاعراض كلها بل يجب أن يبادر حالا الى فحص صدره عند ظهور عرض واحد منها . وللفحص بالاشعة طريقتان الواحدة بحجاب الفلورسكوب (أي أنبوبة الاشعة) والثانية بلوح الراديوغراف . والاول لوحة طولها ١٧ بوصة وعرضها ١٤ على الغالب كما تقدم القول وعليها بلورات « باريوم سيانيد البلاتين » فاذا وقعت الاشعة عليها أضاءت بنور مخضرّ واذا وضع شيء بين الانبوبة والحجاب عرف الناظر كثافة ذلك الشيء من اختلاف لونه على الحجاب من أخضر الى أسود . فاذا كان الشيء الموضوع جسما انسانياً رأي الناظر خيالا مختلف اللون من أخضر الى أسود على حسب كثافة الأنسجة

ولما كانت العظام أكثف شيء في الجسم رئيت سوداء على الحجاب. أما العضلات فتظهر خضراء. وأما الرئة والجلد فيظهران مخضرين وأما الجزء من الحجاب الذي لاتغطيه أنسجة ما فلونه أخضر لامع. أما اللوح الراديوغرافي فيستعمل للتصوير والفحص الدقيق

ومن أول الاغراض التي استعملت الاشعة لها تعيين مكان الحصى في المثانة. وكثيراً ما كان يحدث قبل اكتشافها ان الجراح كان يعمل عملية الحصاة في الكليتين لمريض ثم يفتش عن الحصاة فلا يجدها لا بالجس بأصابعه ولا بغرز ابرة في الكلية. فكان يضطر حينئذ أن يشق الكلية من جانب على أمل الاهتداء اليها وقد لايجدها فيضطر أن يزيلها لازالة الحصاة منها. أما الآن فيهتدي الى الحصاة بالاشعة وبعد استخراجها تخاط الكلية في مكانها وتترك في الجسم لاتمام وظيفتها

ومن فوائد الاشعة معرفة مكان المواد الغريبة التي تدخل الجسم بطريق الفم فتستقر في الشعب أو المرىء أو المعدة أو الامعاء كقلامة ظفر أو مسمار أو زر أو قطعة نقود أو ما أشبهها. فمنذ مدة حدث ان بنتاً عمرها سنتان جاءت بها أمها الى مستشفى بلفو وقالت انها كانت تلعب قبل بأسبوعين ببعض دبابيس البرانيط فافتقد أحدها ولاحظت الأم ان الطفلة لاتستطيع الانحناء الى الامام الا بصعوبة وان الحمى ارتفت معها قليلا وانها تسعل وتشكو ألماً عند السعال. فدلت الاشعة على ان كعب الدبوس مستقر في المعدة الى الجهة اليسرى وان رأسه في المرىء وطول الدبوس كله ٦½ بوصة. ففتحت المعدة واستخرج الدبوس منها بلا صعوبة

وكثيراً ماتأتي الامهات الى المستشفى بأطفال يظنّ انهم مصابون بالسعال الديكي أو قرحة في الرئة أو ذات الرئة من فرط السعال ثم تظهر الاشعة وجود شيء غريب ابتلعوه قبل ذلك بمدة. وقد يبتلع الاطفال شيئاً فيصابون بالسعال ثم يزول ولكن اذا لم يستخرج مابلعوه فقد تكون عواقبه وخيمة في المستقبل

واستعملت الاشعة في الحرب كثيراً في الاهتداء الى الرصاص في أجسام الجنود. فكانت تدل أحياناً على وجوب استخراج الرصاصة حالا والا أماتت المصاب بها ولكن كثيراً مادلت على وجوب ترك الرصاصة وشأنها في محلها وان استخراجها غير مستصوب. ويذكر القراء ان مجرماً أطلق رصاصة على المسيو كليمنصو رئيس الوزارة الفرنسية مدة مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩. فوجد الدكتور لدوليبار الاخصائي الفرنسي الشهير ان الرصاصة استقرت على الجانب الأيسر من الصدر وعلى بعد جزء من ١٦ جزءاً من البوصة من الشريان الأكبر

المعروف باسم الاورطا ومعنى ذلك انه بقي بينه وبين الموت $\frac{1}{16}$ من البوصة فرئي والحالة هذه ان ليس من المستصوب استخراج الرصاصة . والآن يفحص صدره بالاشعة من وقت الى آخر ليرى هل تغير مركز الرصاصة فان كان في تغير مركزها خطر على حياته أزيلت بلا تردد

ولعل أعظم نفع للاشعة هو انها تمكن الطبيب من تشخيص معظم الامراض الخاصة بالقناة الهضمية . وكيفية ذلك ان الطعام الذي نأكله عادة ليس من الكثافة بحيث يلقي ظلا على حجاب الاشعة . فلذلك يعطى المصاب طعاماً من الحبوب وفيه شيء من « تحت كربونات البزموت » . وهذا البزموت يلقي ظلا على الستار فيمكن الطبيب من معرفة مايجري في القناة الهضمية . فيرى مضغ المصاب للطعام وبلعه اياه ونزوله الى المريء ثم يرى انقباض عضلات المريء كفعل الأفعى في انسيابها حتى يصل الطعام المعدة . وفي خلال هذه المدة يراقب الطبيب جميع حركات الفم والمريء والمعدة ليرى هل هناك شيء يدل على وجود مرض . واذا كان الطعام سائلا نزل الى المعدة كما ينزل السائل من الحقنة واذا كان بين السائل والجامد نزل ببطء واقتضى وصوله اليها ثانية أو ثانيتين . أما اذا كان جامداً فان وصوله يقتضي ٦ ثوان الى ٧

وقد جربت تجربة لأحقق مسئلة طال الجدال عليها بين الاطباء وهي أيٌّ أشد فعلا في نزول الطعام الى المعدة — الجاذبية أم انقباض المريء . فجئت ببعض أولاد وأفهمتهم مرادي وطلبت منهم أن يقفوا على رؤوسهم مقلوبين ويأكلوا بعض طعام الحبوب ممزوجاً بشيء من البزموت الذي لا ضرر منه . فسرّوا طبعاً بهذه الفرصة التي تمكنهم من الأكل وهم مقلوبون على رؤوسهم

وقد أظهرت هذه التجربة أن آلة البلع في احد الغلمان صحيحة كل الصحة لان عضلات المريء كانت تقذف الطعام تماماً الى المعدة عند كل بلعة . وكان سائر الغلمان يبلعون مثله ولكن كان يظهر أحياناً أن بلعهم لم يكن بمثل قوة البلع فيه لان الطعام كان يبلغ فتحة المعدة ثم يعود الى المريء فيصعد فيه الى ثلثه حتى ثلاثة أرباعه لكن كانت عضلات المريء تدفع الطعام الى المعدة بلا صعوبة عند البلعة التالية

ولنعد الى المريض الذي أخذنا في فحص قناته الهضمية فنقول : وبعد وصول الطعام الى المعدة تقبض عليه جدرانها العضلية متوزعة فيها على السواء . ولا يهبط الطعام الى قعر المعدة كما يرسب الرمل في الماء الا اذا كان بها مرض بل يوزع هنا وهناك . وعمل الهضم يكون بحركة

موجية اسمها « بريستلسز » ومدة الموجة أي الوقت الذي تنقل فيه الطعام من طرف منها الى طرف ٢٢ ثانية على وجه التعديل وفي خلال ذلك يمتزج الطعام بعضه ببعض ويختلط بالعصارة المعدية

وبعد ست ساعات من أكل هذا النوع من الطعام يخرج من المعدة ويدخل الامعاء . فاذا بقي شيء منه فيها حقق الطبيب ليعلم هل نشأ ذلك عن ضعف حركة العجن في المعدة كما يسمونها أم نشأ عن حالة غريبة في فتحة المعدة السفلى (فتحة البوّاب) . وقد يحدث أن يستبقى بعض المرضى في معدهم ثمن الطعام أو اكثر وقد يبقى كله فيها أحياناً . وفي ٩٩ حادثة من ١٠٠ يكون سبب ذلك وجود حائل فى فتحة المعدة

وتفحص الامعاء أيضاً لمثل ذلك . فنحن نعلم مثلا أن الزائدة الدودية يجب أن تكون منتظمة في شكلها. وفي أثناء عمل الهضم يجب أن تمتلىء طعاماً وتفرغه فاذا وجدناها غير منتظمة الشكل ووجدناها مقفلة بعض الاقفال بحيث يحبس الطعام فيها مدة طويلة حكمنا أن هناك سبباً الى الخطر

وإذا بلغ أحد سن الثلاثين وكان يشعر باعراض سوء هضم مستمرة لا يؤثر فيها العلاج فالواجب عليه أن يفحص نفسه بالاشعة . وكذلك كل من يشعر بالم شديد فى المعدة طويل المدة يعاوده من آن الا آن . أو من يشعر بالم شديد في الحقوين ممتد الى أسفل فلعل ذلك ناشيء عن حصى في مجرى البول

وعندي أن المدارس في زمن مقبل ستتولى فحص جميع التلاميذ بالاشعة لتعلم هل هم مصابون بمرض فى الرئة أو تشويه خلقي في القلب أو داء فى الرأس يؤثر في سمعهم أو الفكين أو الاسنان . ولايجري شيء من ذلك الآن ولكن يحسن بالوالدين أن يحتاطوا لانفسهم بانفسهم فيمتحنوا أولادهم بالاشعة تداركاً للطوارىء

وقد عرف أن كثيراً من أمراض القلب التي لها علاقة بالروماتزم . ناشئة من جراثيم تعيش وتنمو في قروح عند جذور الاسنان أو فى لوزتين مريضتين أو فى القناة الهضمية . وهذه الجراثيم تدور مع الدم وتهاجم المكان الضعيف في الجسم كمصاريع القلب والرئتين والمفاصل والعضلات . وقد عرفت هذه الجراثيم وعرف مقدار فتكها منذ زمان طويل ولكن الاشعة أرتنا الاماكن التي تنشأ وتنمو فيها تماماً . فاذا شعر أحد بضعف ظاهر فى القلب وألم فى العضلات وتيبس في الركبتين والمرفقين والكعبين وظهر ورم عليها فالواجب أن يفحص أسنانه

أما تاريخ اكتشاف هذه الاشعة فهو كما يلي بالاختصار :

جرب الناس قبل عهد فلهلم كونراد رنتجن أستاذ الطبيعة في جامعة ورتمبرج تجارب بالتيارات الكهربائية فى أنابيب فرغت من الهواء فأراد الاستاذ أن يعلم أكثر عن هذه المسئلة التي تعد أعظم مسائل الكون لانها خاصة بقوة الحياة نفسها وتركيب المادة . فقضى زمناً يراقب اللون الاخضر الجميل الذي يرى فى الانبوبة المفرغة اذا أطلق عليها مجرى كهربائي

ففي يوم من خريف سنة ١٩٨٣ دعي من مكتبه وكان مشغولا بالتجارب فيه فوضع الانبوبة وهي تتلألأ بالنور الاخضر على كتاب يطالع فيه وكان على الكتاب مفتاح كبير مسطح كان عادته أن يتخذه علامة للقراءة . واتفق أن كان تحت الكتاب جهاز للتصوير الفوتغرافي كان قد أعده ليأخذه معه ظهر ذلك اليوم عند خروجه للنزهة

وعاد الى المكتب فى العصر فأخذ الجهاز الفوتغرافى وصور بعض الصور ولما أتمها ظهر على أحدها صورة المفتاح فدهش لذلك ولم يدر كيف وقع فارى تلاميذه اياه واستطلعهم طلع رأيهم في كيفية حدوثه . فابدوا آراءهم ولكنه لم يقتنع برأي منها . فرأى أن يمثل هذه الرواية ثانية من أولها فوضع الانبوبة والكتاب والمفتاح واللوح الفوتغرافي كما كانت فى وضعها الاول ثم أتم عمل الصورة فاذا صورة المفتاح فيها . وكان يعلم فعل الكهربائية فى « باريوم سيانيد البلاتين » . فاعاد التجربة فظهر على اللوح نور أخضر في غرفة مظلمة وعلى بعد تسع أقدام ثم وضع يده على لوح فوتغرافي مغطى واطلق المجري الكهربائي في الانبوبة المفرغة فخرجت صورة عليها صورة عظام يده . فوجدها كما وجد ارخميدس ضالته ـ وجد شعاعاً لايرى بالعين ولكنه يخترق المادة الجامدة

اصطناع الصاحب

لبشار بن برد

أحسن صحابتنا فانك مدركٌ بعض اللبانة باصطناع الصاحبِ
واذا جفوت قطعت عنك لباني والدرُّ يقطعه جفاء الحالبِ
تأتي اللئيمَ وما سعى حاجاتهُ عدد الحصى ويخيب سعي الدائبِ

داء النجاح ودواؤه

قال الدكتور وورد كرامتن : قد يصبح النجاح في الاعمال من اقتل الامراض ذلك لانه يقتضى جهدا عظيما وحصر القوى في دائره ضيقة معلومة وانكبابا على العمل كأن الانسان يبذل نفسه كلها في عمله أو كانه يخرج نفسه من الحياة

اذكر رفيقا من رفاق صباي لم يكد يخرج من المدرسة حتى قذف بنفسه الى العمل يجد ليس بعده جد فلم يمر عليه سنوات قليلة حتى صار ذا مال مستقلا في عمله . وبالامس لقيته بعد فراق خمس عشرة سنة ويا ليتني لم القه . تفرست فيه فلم اكد أعرفه اذ استبدل بوجهه الناضر المفعم حياة وجها شاحبا ممتقعا وبملامحه الجميلة ملامح فارقتها معاني الجمال كلها . وملأت الغضون والاسارير جبينه وخديه فبات منظر وجهه كمنظر الحزين المتبرم . تكلمنا عن السنين الماضية فقال . اعلم ياصديقي انى اعطيت كل ما عندي لبلوغ هذه الدرجة فعملت ليل نهار سنة فسنة حتى ادركت كل لبانة لي . ولكن هل تعلم بعد ذلك كله اني لست سعيدا في معيشتي . فلا يسوغ لي طعام ولا شراب ولا انام نوم العافية ولا اسرّ بعشرة الناس اذ لا همّ لى الا عملي

قلت اني اعلم ما بك . وحالك هذا يذكرني بدولاب سيارة يدور في الوحل كلما اسرع في مسيره غاص في الارض . ومصابك انك نسيت اللعب فانت في حاجة الى اللعب والرياضة

وكل رجل مثله ويهمه أن ينجح في عمله معرض للخطر الذي دهمه . ولا سبيل الى النجاة الا باعادة موازنة المعيشة بعد اختلالها وذلك يكون باللهو والتسلية واللعب والاقبال على ساعات الفراغ بنشاط الاقبال على العمل . والذين لا يصنعون ذلك يجفون جفاف المومياء أو هم نصف موتى فى صورة احياء واعمارهم قصيرة

وللرياضة طرق كثيرة فما يناسب زيدا منها قد لا يناسب عمراً وما يناسب عمراً قد لا يناسب خالدا . فاذا كان عملك يدويا عضليا فالعب العابا عقلية . وان كان عقليا فالعب العابا عضلية وان كنت تقضي معظم اوقات شغلك داخل مكتبك فاذا تروضت فتروض فى الخلاء . أو كنت تقضى معظم أوقات العمل خارجا فاطلب الراحة داخلا . وان كنت تجلس أو تقف في صناعتك فتروض بالمشي أو الجرى أو الرقص . وان كنت تروح وتجيء بين الناس فاطلب الجلوس والعزلة عند الرياضة . وان كنت تعمل منفردا فتروض بمقابلة الناس . وان كنت تعمل وانت لابس ملابس رسمية فتروض بخلعها ولبس ملابس خفيفة وهكذا الى ماشاء اختلاف الاعمال والاشغال

مذهب جديد

فى أصل الكون

يدل تحليل طيف الشمس وطيوف النجوم الثوابت بالسبكترسكوب على وجود عنصري الماء فيها أي الهدروجين والاكسجين . ونحن نرى من الشمس غازات معدنية ملتهبة الى درجة البياض وهذه الغازات متماسك بعضها ببعض بالقوة المغناطيسية التي في نواة الشمس أو مركزها وهذه النواة مؤلفة من مزيج من المعادن وهج . وما يقال عن شمسنا يقال عن الشموس الاخرى

ورب سائل يسأل من أين يأتي الشمس الهدروجين والاكسجين اذ لا يمكن أن يوجد الماء فيها فتحلله الى عنصريه . يجيبنا المذهب الجديد عن هذا السؤال بأن الهدروجين والاكسجين يأتيان الشمس من الخارج . وهذا المذهب هو مايسمى مذهب الجمد ومفواد ان الكون على تغير عظيم مستمر غير منقطع . وهذا التغير يجري في دائرة فالهدروجين والاكسجين يتكاثفان ويتحولان ماء وهذا الماء يتحول جمداً بسبب شدة برد الفضاء الاثيري فيمتلىء الاثير جمداً . وهذا الجمد يعود الى الشمس على أشكال شتى فيذوب شيئاً فشيئاً ثم ينتشر ويتحول بخاراً فيولد قوة هائلة قد تقذف قطعة من الشمس تتطاير الى الفضاء الاثيري فتكون أصل أنظمة شمسية أخرى

وصاحب هذا المذهب يقول ان الجمد لا يسقط الى الشمس على هذه الصورة فقط بل ان سيارات برمتها مكسوة بالجمد قد تسقط الى الشمس . وهذا ماسوف يصيب أرضنا في مستقبل الزمان اذ يستولى عليها الجمد في عصر جليدي مقبل وتهبط الى الشمس فيتحول جمدها الكثير بخاراً بسرعة تتولد منها قوة هائلة تقتطع نظاماً شمسياً جديداً بسياراته وترسله الى الفضاء يدور دوران الشموس الاخرى

وهذا المذهب يناقض مذهب كنت ـ لابلاس المشهور وهو ان سحب الغاز الوهاج تتجمع وتتلبد وتزداد حرارة على الدوام ثم تتكون منها شموس جديدة

كذلك يقول هذا المذهب إن المجرة بعظمتها التى تحار فيها الافهام وسعتها التى تضل فيها المدارك ليست الا كتلة هائلة من الجمد العائم في الاثير نراه بانعكاس أشعة الشمس عنه . وهذا

(البقية على الصفحة التالية)

اسرار قلب زوجة

سلسلة كتب

هذا كتاب من سلسلة كتب كتبتها سيدة انجليزية الى محرّر احدى المجلات الانجليزية فنشره ممضى باسمها الاول كاملا وبالحروف الاولى من الاسم الثانى لستر «هويتها» . وقد قال المحرر ان عنده الاسم كله

وهذا الكتاب ما كان ليكتب قبل الحرب وينشر في صدر صحيفة سيارة وتكون كاتبته سيدة انجليزية ترسل اسمها كاملا الي الجريدة فينشره المحرر ناقصا لا بطلب فيها بل حرصا منه على سمعة المرأة الانجليزية

هذا الكتاب ما كانت لتكتبه قبل الحرب سيدة من أمة قال صاحب كتاب اسباب ارتقاء الامم الانجلوسكسونية ان تقديس العائلة وطهارة العيشة البيتية هما في رأس تلك الاسباب

ولكن الحرب اتلفت الاخلاق قبلما أتلفت المال واراقت مهج الرجال فباتت ذات الحياء والخباء تقدم على ما يحجم عنه افسد أهل الخناء

وقد قال المحرر فى مقدمة وجيزة ماترجمته :

«وردت علىّ هذه الكتب منذ بعض سنوات ففعلت ما استطيع لمساعدة كاتبتها فافلحت في آخر الامر. وهى لاتعارض فى نشر هذه الكتب ولكن غيرت الاسماء كي لاتعرف

(بقية المنشور على الصفحة ١٤٢٩)

هو حال السديم ايضاً . وان القمر مكسوّ بطبقة سميكة من الجمد والمريخ مثله وليست هذه الترع التى ترى فيه سوى شقوق في الجمد . وانما الشهب والنيازك قطعة جمد تائهة وهائمة في الفضاء نراها باشعة الشمس المنعكسة عنها

والبرَد وما أدراك ما البرَد ؟ هو بحسب هذا المذهب قطع جمد ضلت طريقها في الفضاء الاثيري فدخلت جو الارض فتطايرت فيه شعاعاً ومزقت كل ممزق فسقطت علينا برداً . وفى ذلك الفضاء قوى تولد زوابع الارض وعواصفها وانواءها وأعاصيرها ورياحها من سموم ومواسم وما أشبهها

وعند صاحب هذا المذهب ان انظمة الشموس لا تعمل بلا وجود تلك المادة المجهولة التي

نفرضها ونسميها اثيرا وان عمل الاثير هو ربط السيارات بعضها ببعض في دوراتها حول الشمس

الكتاب الاول

عزيزي المحرر

مضت مدة لم اكتب اليك وسأبيّن الآن السبب فان ماخشيت في الاسابيع الماضية ان يكون قد كان

تذكر اني تزوجت رجلاً لم يفهمني فمرت بي الايام متثاقلة ففاتتني طيبات هذا العمر الانكد

ولقد جاءني كتابك اللطيف ومعه قائمة من الكتب. وقد قرأتها كلها فآنستني وساعدتني كثيراً وعليه قررت أن ابدأ العيشة من جديد فزاد اهتمامي ببيتي ونفسي وبذلت جهدا كثيراً في اشعال شرارة ولو ضئيلة من الحب في دافيد (اسم زوجها) . فمضت مدة وجيزة لا يبدي فيها ولا يعيد ثم نطق بعد سكوته الطويل فقال لي ذات يوم « انك تنفقين على البيت نفقة لا قبل لنا بها وهذا ناشيء عن التبذير وسوء التدبير. ومن الخطاء ان تعقصي شعرك على طريقة تخالف طريقتك المعتادة وكذلك من السخف على امرأة من سنّك ان تقلد الفتيات الصغيرات»

فجرح بكلامه هذا كبريائي ايما جرح فلجأت الى رسائلك التي ارسلتها اليّ اعيد قراءتها لعلها تنفث فيّ شجاعة وتعزز ماوهن من ايماني ولكنها لم تفعل وشعرت بان كلّ مابنيت من الاماني وعلقت به نفسي من الآمال قد ذهب ضياعا

فمرضت فاشار عليّ الطبيب بتبديل الهواء في مصيف من مصايف الساحل. ولما لم يستطع دافيد ان يصحبني اليه لكثرة اشغاله قصدته وحدي

والآن لا اكاد اعرف كيف اصف ما جرى لي . فقد اتفق اني لقيت في الفندق فتاة كانت رفيقة صباي في المدرسة ومعها شقيقها وكان اصدق صديق لشقيقي . ولم تمض أيام حتى شعرت بتغيير هائل طرأ عليّ . ذلك بان ذكرى دافيد وبيت دافيد محيت من ذاكرتي فبذلت أعظم مجهود في مقاومة هذا التغيير واعادة تلك الذكرى الى ذهني فلم استطع ان احلها المحل الاول فيه لان قلبي وروحي وهبا للرجل الذي عرفته صبيا قبلما اشعر بتلك الهبة

حاولت أن اشد عنان نفسي واكبح جماحها . وكنت في عينه صديق شقيقته التي تزوجت رجلا لاتحبه ولم تكن لي صفة اخرى عنده . ومع ذلك . . . . آه اني لست على يقين من ذلك

كان بوب (اسم الشاب) يفهمني تمام الفهم بخلاف دافيد فانه كان يسفه بعض آرائي في هذه الحياة . وتذكرت ان آراء بوب القديمة لاتزال الآن كما كانت

ولم أطل مقامي في الفندق بل تركته باسرع ما يمكن ونعم مافعلت ولو لم يعلم أحد سبب اسراعي. ولطالما حاولت ان ادفن عواطفي الثائرة فى صميم قلبي ولـكنها ابت أن تندفن . ان الحب يظهر بسرعة كانه ابن لحظته ثم يبين مخلداً وهذا الشعور يزداد فيَّ بتوالى ساعات النهار فاحاول تخديره فلا استطيع لاني اقاتل عنصراً هو أقوى مني بل هو أعظم ماوقع في حياتى

ما كنت لا كتب اليك لو لم اكن في ورطة محزنة ولا سيما ان شقيقته استأجرت منزلا قريبا من منزلنا تروم أن تقضى فيه بقية الصيف . ومعنى ذلك اني ساراها واراه كل يوم

انى في اشد حاجة الى مشورتك لتقويتي . هل استطيع ان اضبط عواطفي واحكم نفسى فلا تبدو مني التفاتة ولا نظرة ولا اشارة تفضح ما بيننا وانا اراه واجتمع به كل يوم.أما محاولتي الفرار منه « فمناورة مكشوفة » يراها كل احد . واما اجتماعي به على الدوام فمعناه تسليم نفسى اليه في آخر الامر

وترانا اتفانى في التلطف الى دافيد ولـكن هذا العنصر الجديد يجعلنى شديدة الانفعال والتأثر كثيرة التضجر قليلة الصبر ضيقة الصدر ويزيد مرارة زواجنا الف مرة

انت ذو خبرة عظيمة بالعالم واهاليه فلا تمنع مشورتك عمن هي في اشد حاجة اليها

(ادنا . ر)

اختلاف الطبائع

قال الجاحظ من فصل بهذا الموضوع :

كان عبد الحميد الاكبر (والمعروف بلقب الكاتب) وابن المقفع مع بلاغة اقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلاّ ما لا يذكر مثله . وقيل لابن المقفع فى ذلك فقال « الذي أرضاه لايجيئني والذى يجيئني لا أرضاه » . وهذا الفرزدق وكان مشتهراً بالنساء وكان زيرغوان وهو مع ذلك ليس له بيت واحد في النسيب مذكور . وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط وهو مع ذلك أغزل الناس شعراً وكان الفرزدق يحسده على ذلك

كتب الشهر

ديوان طانيوس عبده

صدر الجزء الاول من ديوان الشاعر الناثر طانيوس عبده . وهـذان النعتان قلما اجتمعا لاحد قبله وقد استعرناهما في الجزء الماضي عنواناً لحكمة نثرية بديعة منسوبة الى الفرزدق أشعر شعراء صدر الاسلام فى مذهبنا

وقلما يكون المرء شاعراً وناثراً معاً لان كلا من هاتين الصناعتين تتطلب للتفوق فيها جهداً فوق طاقة البشر ولان كلا من الكاتب والشاعر ملهم أولا ومجتهد ثانياً . وقد أحسن اليونان القدماء إذ خلقوا الاهات للشعر وأساؤوا إذ لم يخلقوا الاهات للنثر فلنخلقها نحن .وهذا النسيان هو السبب فى كون الرجل الواحد لايكون شاعراً وناثراً معاً الا الرجل الذي خرج على الالهة والناس معاً كطانيوس عبده

وأول ماترى من دلائل خروجه على الناس الابيات التى كتبها تحت صورته ولا نعلم غرضه من نشر الصورة فى صدر الديوان هل هو تزيين الديوان فان كان ذلك فقد أخطأ الحفرة ! ! أما الابيات فهي :

هذه صورتي تراها فقل ما شئت فيها فانهـا لا ترا كا
لايرعك انقباض وجهي فقد كا ن بشوشاً من قبل أن يلقا كا
إنما أدركته حرفـة قوم كتب الله أن يكون كذا كا

فالرجل الصريح الى هذه الدرجة لا بدع أن يكون في طليعة الخوارج على كل شيء لـكن هذه الطريقة الجافية يقتلها شيء كثير من الظرف ورقة الديباجة كما يقتل الماء الخمر فاينما غصت في بحور ديوانه وجدت كلاً منها

كالبحر يقذف للقريب جواهراً جوداً ويبعث للبعيد سحائبا

وفي الديوان أكثر من مائتى موضوع من كل قديم وحديث ففيه الرثاء والمدح والعتاب والمداعبة .وفيه موضوعات عصرية مثل دواء الخلود ودين الشباب وتحية الربيع والخريف ومحكمة الضمير وكأس سكير . وفيها ظرائف ولطائف أمثال يارب السترة وضرس العقل ودواتي والشكر طبع واسترجلت وتأنث وهرة الدكتور شميل ومخنث كبير الانف

فديوان طانيوس عبده ديوان شعر رقيق ومجموعة لطائف معاً فهو كتابان بثمن كتاب واحد

روح الاشتراكية

تأليف غوستاف لوبون

الف هذا الكتاب بالفرنسوية الدكتور غوستوف لوبون الكاتب الاجتماعي المشهور ونقله الى العربية الاستاذ محمد عادل زعيتر خريج جامعة باريس وأحد أركان النهضة الفلسطينية في نابلس . وهو يبحث «عن مبادىء الاشتراكية ونفسية أنصارها وعن كونها معتقداً وعن اختلافها باختلاف الشعوب وعما بين مقتضيات الاقتصاد من التباين وعن المبادىء الدموقراطية ورغائب الاشتراكيين وتطور المجتمعات في الوقت الحاضر ومصير الاشتراكية » كما قال المعرب في تلخيص مباحث الكتاب

والكتاب سبعة أبواب تندرج تحتها فصول كثيرة . أما الابواب فهي: مبادىء الاشتراكية وأنصارها. الاشتراكية معتقد . الاشتراكيه بحسب الأمم . التباين بين مقتضيات الاقتصاد. التصادم بين سنن التطور . تطور النظام الاجتماعي. مصير الاشتراكية

وتولى طبع الكتاب وعني بنشره حضرة الفاضل المجتهد الياس أنطون الياس صاحب المطبعة العصريه ومؤلف القاموس العصري . وهو متقن الطبع كسائر ما تخرجه مطبعته من الكتب القيمة وكثير ماهي

مفخرة رشيد

قصيدة وطنية شائقة لصديقنا الاستاذ الدكتور أبي شادى مع شروح أدبية وتاريخية باقلام نخبة من مشاهير الكتاب عني بنشرها حسن صالح الجداوي « بكالوريوس فى القانون ودبلوم تجارة عليا ومنشىء صحيفة « السويس الناهضة »

والمراد بمفخرة رشيد معركة رشيد التى انتصر فيها المصريون على الانجليز فى عهد محمد على باشا بعد ماخربوا الاسكندرية واحتلوها ثم احتلوا رشيد بعدها .ولما انقضت المعركة بانتصار المصريين سنة ١٢٢٢ أي منذ ١٢٢ سنة ــ دارت المفاوضات فعقد الصلح بين الفريقين بعد ثلاثة أشهر ورحل الانجليز عن الاسكندرية

ولا يسع المقام نقل شيء من القصيدة ولا يغني هذا الشيء القليل عن قصيدة عامرة الابيات تربي على الستين وتناهز السبعين . ومطلعها :

رنحينا باحاديث الجلالِ ... وبنفح من هواهم غير بالِ

ومنها خاطىء من ظن ماضيه بلا ... مرشد يهدي الى غالى المآلِ

قصيدة شوقي

ليست قصيدة شوقي داخلة في « اختصاص » هذا الباب باب كتب الشهر ولكنها من كبار حوادث الادب فيه وفي باب « الادب السياسي » وأثرها فى النفوس أثر مجلدات ضخمة بل أعظم أثراً اذ تمر بالمجلدات ثم إذا فرغت منها لم يبق عالقاً بذهنك منها الا كل رائع وغال « ومركز » وقصيدة شوقي مجموعة روائع وغوال بله « المركزات » فهي باقية كلها لا يضيع شيء منها وخصوصا مزجه السياسة بالادب فيها فاكرم بشعر رقّ فيه النسج وطاب المزج قال لافضّ فوه :

قسما بمن يحيي العظا م ولا أزيدك من يمينْ
لو كان من سَفر إيا بك أمن أو فتح مبينْ
أو كان بعثك من دير ب الروح أو نبض الوتين
وطلعت من وادى الملو ك عليك غار الفاتحين

. . . . . .

وعلى نجادك هالتا ن من القنا والدارعين
والجند يدفع في ركا بك بالملوك مصفدين
لرأيت جيلا غير جيـ ـلك بالجبابر لا يدين
وأيت محكومين قد نصبوا وردوا الحاكمين
روح الزمان ونظمه وسبيله في الآخرين
ان الزمان وأهله فرغا من الفرد اللعين
فاذا رأيت مشايخاً أو فتية لك ساجدين
لاق الزمان تجدهمُ عن ركبه متخلفين
هم فى الأواخر ولداً وعقولهم في الأولين

***

فتح مصر الحديث

جاءنا في آخر ساعة كتاب « فتح مصر الحديث » لزميلنا القديم حافظ عوض بك احمد الكاتب المعروف وصاحب كوكب الشرق . ولما كان من الكتب التى لا يكفي في تفهم مافيها القاء نظره سطحية عليها فسنوفيه حقه من الدرس في الجزء القادم

العالم في شهر

ديسمبر ١ - ٣١

[رأينا أن نغير عنوان هذا الباب من « مصر في شهر » الى « العالم في شهر » إجابة لاقتراح بعض الاصدقاء فلا نحصر كلامنا في الحوادث المصرية بل نجاوزها الى حوادث العالم كله]

ـ ديسمبر ـ

ديسمبر هو آخر شهور السنة الشمسية وكان العاشر في السنة الرومانية كما يدل اسمه وأشهر ذكرياته ذكرى ميلاد السيد المسيح ـ له المجد أوعليه السلام ـ في اليوم الخامس والعشرين منه . وفي نحو ٢١ منه يكون الانقلاب الشتوي المعروف عند اهل الفلك

على أن تعيين ٢٥ ديسمبر لميلاد السيد السيد المسيح هو بالتقريب لا بالتأكيد . فان جميع الدلائل تدل على أنه ولد قبل عيد ميلاده المصطلح عليه بايام قد تكون عشرة أوتزيد عليها . ومن تلك الادلة قول الانجيل ان الملاك ظهر لرعاة « متبدين يحرسون حراسة الليل على رعيتهم » وبشرهم بمولده . ومعنى متبدين مقيمون ومعرّسون بالبادية ويستحيل على الرعاة في فلسطين وفي أواخر ديسمبر أن يقضوا لياليهم في العراء مع رعيتهم لشدة البرد فلا بد أن يكون الميلاد أبكر من ذلك الوقت أي في اواخر نوفمبر

ـ الارمن في سوريا ـ

لنا بين الارمن أصدقاء افاضل غاية في الطيبة وصفاء السريرة . وقد حاولنا غير مرة أن نوجه أنظارهم الى سوء معيشة الارمن في سوريا فلم نستطع ذلك خجلا وحياء . وقد يكون الخوف من حمل ذلك التوجيه على غير محمله الحقيقي أحد العوامل التى حالت دون مفاتحتنا اياهم بالموضوع

لكن العامل الاكبر كان عامل الحياء وكيف لا تستحيي أن تبين لصديق لك من أمة غير امتك معايب قومه وخصوصاً ما كان مكتسباً منها وكان وجوده منكراً وازالته ميسورة كالقذر والوساخة

فقد زرنا الشام منذ ثلاث سنوات ورأينا حالة الارمن فى مدينة صيداء من مدن الساحل ـ رأيناهم نازلين في قشلاق قديم فذكرنا قول المتنبي « عارين من حلل كاسين من درن » وصدقنا ما وصف به مراسل الدايلي اكسبرس الانجليزية مهاجري الارمن في بيروت على ما نقلته جريدة « السياسة »

في حينه . وهو وصف أقل ما يقال فيه أنه تقزه النفس ويكفي تشبيههم بالجرذان وتشبيه مساكنهم ببؤر الطاعون

وقد رأيت أن أقتطع هذا الوصف من « السياسة » وأرسله الى اولئك الاصدقاء لانهم ممن يحسن العربية ولكني عدت فاحجمت مجتزئاً بهذه العجالة

لما جيء بالمهاجرين الارمن الى سوريا استصوبت المشروع شفقة على اولئك البائسين ولاني كنت أظن به خيراً فلذلك كتبت رسالة الى الاهرام أحبذه . ولكن أبدت لي الايام ما كنت جاهلا فاذا المشروع شر واذا أصحاب المشروع سيئو النية فلذلك « أسحب » كل لفظة تحبيذ وردت في رسالتي

ألا يرى اخواننا الارمن في هذا البلد وهم كثير واغنياؤهم من أرباب الملايين انه يحسن بشيء من الجنيهات الكثيرة التي تجمع عن طريق جوائز ماتوسيان وملكونيان وبربريان أن يصرف لابدال اخوانهم المستعمرين في سوريا بعسرهم يسراً وبوساختهم نظافة

أولا يرون أن ذلك يحسن بهم بل هو واجب قومي عليهم ؟

ـ وفاة الملكة الكسندرا ـ

توفيت في هذا الشهر الملكة الكسندرا ارملة ادوارد السابع وأم الملك جورج الخامس ملك انجلترا . وهي دنمركية الاصل كان الملك جورج اليوناني أبو قسطنطين صهر وليام الالماني ـ شقيقها . ونقولا الثاني قيصر روسيا ابن شقيقها . وملكا الدنمرك واسوج الآن قريبان شديدا القرابة لها أحدهما من طريق العصبية والآخر من طريق المصاهرة ففجعت بشقيقها ملك اليونان وابن شقيقها قيصر الروس واسرته شر فجيعة . وكانت قبل ذلك في سنة ١٨٩٤ قد رزئت الرزيئة العظمى اذ فقدت بكرها وولي عهد انجلترا دوق كلارنس فآل الملك الى شقيقه الثاني جورج دوق يورك . ولو بقي حياً لكان هو الملك ولكانت منزلة الملك جورج الحالي من شقيقه منزلة دوق كنوت من الملك ادورد في حياته

ـ المعتمد الفرنسوي الجديد ـ

في سوريا

كانت أول قولة فاه بها المسيو دي جوفنل المعتمد الفرنسوي الجديد في سوريا عند نزوله الى بيروت « أنا حرب لمن يريد الحرب وسلم لمن يبغي السلم » وليست هذه القولة لئيمة في نفسها بل اننا نراها في محلها ولكن بعض الزعماء هناك تطيروا منها فتوعد أحدهم المعتمد بقطع رأسه كأنهم يريدون من المعتمد تسليما بلا قيود ولا شروط . وهذا

غير معقول ولا ترضاه السكونغو لو كانت هي المنتدبة فضلا عن دولة ذات كبر وتاريخ قديم محفوف بجلائل الاعمال

نقول ان قولة دي جوفنل في محلها لان البلاد في حاجة الى السلام والراحة . فالحرب شديدة الضرر بها تفضي الى خرابها فان كان أهلها يبغون الحرب فهم أشد خطرا عليها من الغريب

لكن الذي نراه ونتوقعه أن المعتمد الجديد ليس بملفح في مهمته ما دامت تحيط به الزعانف من قومه وأهل البلاد نفسها . وما دام يحصر همه في المسائل الثانوية دون الاولية فالبلاد ذات مظالم حكومية واقتصادية وليست الثانية دون الاولى في عظم شأنها. وفي اعتقادي أنه لو كانت حالة البلاد الاقتصادية حسنة ما وصلت الازمة السياسية الى هذا الحد

وبعبارة اصرح أنه لو كان الفرنك السوري مستقلا عن الفرنك الفرنسوي لتأجلت الازمة السياسية الى أجل اخر . تريد حلا سريعا للازمة ابدأ بحل المسألة الاقتصادية. تقول لي وماذا نفعل ؟ أقول لك ولا حياء في الفلوس كما لا حياء في الدين ـ اجعل القرش المصري أو الشلن الانجليزي أو الفرنك السويسري أو الدولار الاميركي اساسا للمعاملة في البلاد وأنا الكفيل لك بحل الازمة حتى حين قد يكون بعيدا وبتأجيل المسألة السياسية الى أجل مسمى

ـ هبوط الفرنك ـ

هبط الفرنك الفرنسوي في خلال الشهر الى نحو ١٣٣ في الجنيه الانجليزي أو ٧٢ في بورصة القاهرة والاسكندرية أي أن مائة الفرنك الذهب وقيمتها نحو ٣٨٦٠ غرشا مصريا بيعت بمبلغ ٧٢ غرشا فهبطت قيمة الفرنك من ٣٨٦ مليما أو نحو أربعة غروش الى نحو ٧½ المليم

فما هو ذنب التاجر السوري المسكين حتى تهبط قيمة « مصاريه » الى جزء من خمسة وخمسين مما كانت . ومن يسكت اذا نام وفي خزانته الف جنيه فوجد في صباح اليوم التالي قيمتها هبطت الى ١٨ جنيها وبعبارة اخرى انه سرق منها ٩٨٢ جنيها ولم يبق معه سوى ١٨ جنيها . وقد لا يبقى معه شيء فيصيب حامل الفرنك ما أصاب حامل الروبل والمارك. أما كيف كان ذلك فليس في العالم ثور يجهله ! !

ـ التحكيم ـ

حكمت جمعية الامم في الخلاف الذي وقع بين اليونان والبلغار فحكمت للثانية على الاولى . واذعنت اليونان للتحكيم وانفها راغم ولكنها شاءت ان تخفف

وقع ذلك الحكم عليها فقالت ما فحواه ان البلغار مدينة لها وان حساب الغرامة سيسقط من حساب الدين. فليكن كما تقول

وحكمت الجمعية في الخلاف الانجليزي التركي على الموصل فحكمت لانجلترا على تركيا وبان تلحق الموصل بالعراق . والدلائل الحاضرة التي نراها عند كتابة هذه السطور تدل على أن الترك غير راضين بهذا الحكم . وقد قال أحد مندوبيهم ان القول الفصل في ذلك لا نقره . ونحن نرى أن العقل يشير على انقره بالقبول اذ لا فائدة من المقاومة والا كانت كمقاومة العين للمخرز كما جاء في المثل لان تركيا تقف في جنب ودول العصبة في الجنب الآخر وفي طليعتهن انجلترا . ولا ينفع تركيا الاعتماد على قصبة مرضوضة مثل حكومة السوفيت اذا صح القول انها تعمل باغراء هذه الحكومة . وعندنا أن السوفيت أعقل من أن يقدموا على هذه المجازفة في حين أن زعماءهم يفاوضون كبار زعماء اوربا في عقد المحالفات والاتفاقات الاقتصادية والتجارية كما هو مشهور

فتركيا في رأينا ستسلم بالتحكيم « مع حفظ حقها »

تسليم جغبوب

أما أهم الحوادث المصرية في خلال هذا الشهر فهو اتفاق الحكومة المصرية والايطالية على أن تسلم الاولى الى الثانية واحة جغبوب المشهورة . والذى نشعر به أن احمد بك حسنين ربما كان آسف الناس من الوجهة الجغرافية ـ ولا نقول السياسية لانها خارجة عن طورنا ـ على اخراج تلك الواحة من الحظيرة المصرية بعدما تجشم مخاطر السفر اليها وكتب ما كتب عنها كتابة راء بالعين لا سامع بالاذن

خروج نشأت باشا

ومن أهم حوادث الشهر الداخلية خروج نشأت باشا من وكالة الديوان الملكي وتعيين نسيم باشا رئيس الوزارة سابقا رئيسا له

وفاة البرنس عزيز

توفي في اواسط الشهر البرنس عزيز حسن باشا حفيد اسماعيل حفيد محمد علي وقد كان له تاريخ سياسى وعسكري استرعى الاسماع والابصار أما السياسى ففى هذا القطر وأما العسكري ففى تركيا كما هو معلوم ومشهور

آخر العام الاول

من المجلة الشهرية

بهذا الجزء الثاني عشر من المجلة الشهرية يختتم عامها الاول . وبودنا أن نقول فيها وفي حولها الاول ماقال شوقي في كريمته :

آمنة في عامها الاول مثل الملك
صالحة للحب من كلٍّ وللتبرك

ولسنا ندري هل أنجزنا فيها ماوعدنا في جزئها الاول من جعلها مما يرضي العامة ولا ينكره الخاصة . وكل ماندري اننا سعينا الى الخير جهدنا فنقلنا من علوم الغرب وفنونه كل مارأينا فيه نفعاً لقرائنا وجنينا من قطوفها كل دان .ولم نترك باباً الا طرقناه . ولم نحصر تنقيبنا في جهة دون أخرى. ولو شئنا تعداد المصادر التي اعتمدنا عليها في نقل مادتنا وبسطها للقراء والبناء عليها لوجد انها تفوق الحصر

لسنا ندري هل وفينا بوعدنا وانما ندري اننا لم نأل جهداً ولم نقصر سعياً في الوفاء . ونحن ندعي اننا فعلنا . ولكن المرء عميٌّ عن رؤية عيوبه حتى لقد تمنى الشاعر « بارنز » الانجليزي أن تؤتي أمته قوة تستطيع بها رؤية نفسها كما يراها غيرها علماً بأن رؤية المرء لعيوبه لازمة كل اللزوم لاصلاح نفسه وازالة تلك العيوب

وانا وان لم ننشر تشجيعاً قليلا ولا كثيراً على صفحات مجلتنا نقرر هنا اننا سمعنا التشجيع الكثير سراً حيث لم يمكن الجهر . وقد جاءت هذه المسارّة من أناس يعلمون مايقولون فا كتفينا بها جزاءً على عملنا وسرنا فيه بعزم أمضى من الاول . فشكراً لهم على تشجيعهم

وكما حمدنا الله في مبتدإ عملنا نحمده على حسن مختتمه في المرحلة الاولى منه . ونسأله أن يأخذ بيدنا فيه وهو أكرم مسئول

توت عنخ آمون

رواية تاريخية حدثت وقائعها المدهشة فى عهد توت عنخ آمون

(خلاصة ماورد فى الفصول السابقة ان الملك اخناتون من ملوك الدولة الثامنة عشرة المصرية مات فخلفه صهره توت عنخ آمون . وكان لاخناتون قائد يدعى فاروس تآمر مع بعض اصدقائه على قتل الملك الجديد . غير ان ضابطا تحت يده اسمه راميس درى بتلك المؤامرة فذهب هو والملك وباغتا المتآمرين فى مجتمعهم ثم تمكنا من الفرار من غير أن يعرفا احدا منهم . ولما عادا رأى راميس ان يطلع رئيسه فاروس على تلك المؤامرة ولكنه لم يذكر له ان الملك كان معه فرأى فاروس ان راميس قد اطلع على سر المؤامرة فارسله فى مهمة الى معبد طيبة واتفق مع كاهن المعبد على استبقاء راميس سجينا هناك. فقضى راميس فى سجنه ليلة ويوم وهو يحاول ان ينقر جدار السجن بنصل حربته الى أن تم له ذلك . وفى صباح اليوم التالى ذهب الملك توت عنخ آمون الى المعبد فى موكب حافل ليفك اختام قدس الاقداس حسب فرائض القوم . وقبل أن يفعل ذلك سقطت أمامه حربة واستقرت فى مصراع باب قدس الاقداس . وكان بطرف الحربة قطعة من البردى فانتزعها الملك واذا هى رسالة من راميس يحذره بها من لمس الاختام . فلما علم الكاهن ساتيرى ان حيلته قدانكشفت توارى عن الابصار . فعدل الملك عن مواصلة الحفلة . وبعد ذلك باسبوع خرج بمركبة للنزهة فى احدى ضواحى طيبة فالتقى راكبا يسير بمركبته فى طريق وعر وجواداه ينهبان الارض نهبا حتى انقلبت المركبة وأصيب الراكب بجروح بليغة . فهرع توت عنخ آمون لمساعدته فعلم منه انه فتى فقير الحال قد استأجر تلك المركبة ليدخل سباق المركبات المقبل طمعا بنيل الجائزة . فرق له الملك واتفق معه على ان يدخل السباق متنكرا باسمه . وفى يوم السباق جاء متنكرا ولكن قائد جيشه فاروس عرفه فعزم ان يقتله فى فرصة ملائمة ومع كل مابذله من السعى ليقذف الملك ومركبته على احدور الوادى لم يفلح فى ذلك فرماه بحربته على رجاء ان يصيب منه مقتلا . ولكنه بدلا من أن يصيبه أصاب عنان جواديه فذعر الجواد انواندفعا الى الجرف فسقطا بالمركبة والملك الى الوادى . وانتهى السباق فى ذلك اليوم وفاروس هو المجلى فيه الا ان الاميرة ميريس ــ وكانت قد علمت بوجود الملك بين المتسابقين ــ ذهبت هى وراميس للبحث عنه فوجداه فى احدور الوادي يمشى متثاقلا فعادا به وهو يقص عليهما ماوقع له مع فاروس وكيف سعى لاهلاكه . وفى تلك الليلة عينها أصدر امراً بعزل فاروس وتعيين راميس مكانه . ثم ارسل راميس ليلقى القبض عليه . وكان فاروس قد ذهب الى أحد السحرة ليستطلعه ماهو مضمر له فى اثناء الاقدار . فتبعه راميس بشرذمة من الجنود الى كهف الساحر ولكن فاروس تمكن من الفرار الى وادى الملوك حيث التقى ببعض لصوص المقابر فتربص لهم حتى أخذوا يتضاربون بالعصى والمدى . وأصيب أحدهم بجرح بليغ قضى به نحبه فتركه رفاقه وهربوا فخرج فاروس من مكمنه ونزع ثياب القتيل ولبسها وتمكن فاروس بتلك الحيلة من الفرار بعد أن استولى على خنفساء من الخنافس المقدسة التى كان المصريون يدفنونها مع جثث ملوكهم وقد عثر عليها بين الاسلاب

وهرب الى سوريا حيث انضم الى رفيقه ساتيرى واخذا يحرضان السوريين على شق عصا الطاعة . فثار القوم ولكن الدائرة دارت عليهم فعاد فاروس الى مصر واتخذ منادر وادى الملوك مقراً له ولرجاله . وبينما هو هنالك أقبل توت عنخ آمون وراميس ليعيدوا الخنفساء الى قبر توتميس (وقد كانت مسروقة منه) وما كاد يدخلان القبر حتى أوصده فاروس عليهما ثم خرج برجاله فى الظلام وزحف على طيبة . فاستولى على القصر . اما الملك وراميس فتمكنا من النجاة وعلما من ساتيرى بوجود دهليز سرى يوصل معبد آمون بالقصر فعزما على تحقيق ذلك

الفصل الخمسون

فرار الخائن

جرى في تلك الغرفة المظلمة صراع هائل بين الملك وعدوه . واستغرق هذا الصراع بضع دقائق كان في خلالها كل منهما يحاول أن يصيب من خصمه مقتلا . وكانت عينا فاروس تقدحان شرراً ومنظره أشبه بمنظر وحش ضار قد أفلتت منه فريسته . وكان يدور حول الملك ويحاول أن يرشقه بحربته ولكنه يضن بها خيفة أن تخطىء الهدف فيصبح تحت رحمة خصمه . وكذلك كان توت عنخ آمون يضن بسلاحه ويحاول استدراج خصمه الى حيث يصيب منه مقتلا

وظل الرجلان على تلك الحال مدة من الزمن وقد حبس كل منهما أنفاسه واستجمع كل ما فيه من قوة للفوز على خصمه . ولاحت من الملك التفاتة فابصر فاروس يلوح بحربته ليرشقه بها . فمال من طريقه ليجتنبها فعثرت رجله بكرسي كان هنالك وسقط على الارض . فرأى فاروس الفرصة سانحة فانقض عليه يريد تمزيقه. وأدرك الملك عظم الخطر المحدق به فاعترض خصمه وأوقعه على الارض . ولا تسل إذ ذاك عن اشتداد وطيس القتال فصار كل منهما يبذل منتهى ما قد بقى فيه من قوة للتغلب على خصمه . وظل الصراع حامي الوطيس وقد تجددت آمال فاروس بالانتصار على الملك . ولكن ما كان ينقص هذا من قوة العضل كان ينقص ذاك من الحيلة . فما هي إلا بضع دقائق حتى تمكن من الوقوف على قدميه وحربته لاتزال بيده . ثم صوبها نحو فاروس وأرسلها في الفضاء تئز أزيزاً . ولكن فاروس نكب عنها ونجا باعجوبة . وكان قد صار على مقربة من إحدى النوافذ فرأى الفرصة سانحة فوثب من النافذة الى الخارج وتوارى عن الانظار

فأسف الملك على افلات تلك الفرصة ولام نفسه لانه لم يحتط لفرار خصمه . وهرع الى النافذة فلم ير لفاروس أثراً فهز كتفيه قائلا : لعلها مشيئة الالهة ولعل ساعة النقمة لم تأت بعد . ومهما يكن فلا بد من تعقب ذلك الخائن ومعاقبته

وما كاد يفرغ من تمتمة عبارته هذه حتى سمع وقع أقدام في الغرفة . فأدار طرفه فأبصر راميس داخلا ينظر الى ما حوله في الغرفة وهو يقول : سمعت أصواتاً غريبة فجئت لارى ما الخبر . أنني أرى آثار اضطراب عظيم كأن معركة قد نشبت في هذا المكان

فقال توت عنخ آمون : لقد أفلتت الفريسة مرة أخرى . كان فاروس في قبضة يدي وكدت انتصر عليه ولكنه تمكن من الفرار في اللحظة الاخيرة

فتنفس راميس كمن قد أصابه الفرج وأعرب عن سروره لنجاة الملك من ذلك الوحش الذي لم تكن مهارته في استعمال الحربة تقل عن مهارة الملك نفسه . ثم قال للملك : كان يجب عليّ أن ألازم سيدي الملك اذن لاستطعنا أن نتغلب على طريدتنا

فقال الملك : أن الآلهة سوف تدفع فاروس الى يدنا مرة أخرى لامحالة ولا يمكن أن نتركه مطلق السراح الى الابد

أما فاروس فانه ما كاد يثب من النافذة حتى وصل الى باحة القصر يستره الظلام . ثم تمكن من الفرار الى خارج القصر واندفع يعدو في شوارع طيبة المتعرجة ــ وقد كان يعرفها معرفة جيدة ــ حتى خرج من المدينة وولى وجهه شطر معبد آمون . وكان غرضه أن يأوى الى ذلك المعبد ويبيت فيه متواريا عن الانظار . وظل يضرب في الصحراء المؤدية اليه والظلام مرخٍ سدوله حتى أشرف على المعبد وهو يلهث من شدة التعب. فوقف هنيهة ليستريح ويستجمع قواه . وقال لنفسه : لقد انتصر عليّ توت عنخ أمون مرة أخرى ولكنه انتصار لن يدوم طويلا وسيجيء دوري فانزل به عقاباً عظيما . أنى لا أزال أستطيع استعمال الحربة وسأنتهز أول فرصة فاغمدها في صدره واختم بذلك صراعنا الذي قد طال أمده

قال ذلك وهو يبتسم ابتسامة الخبث والدهاء . ثم استأنف سيره حتى وصل الى المعبد وقد أخذ جلباب الظلام يتمزق ولاح نور الفجر . وكانت أبواب المعبد لاتزال موصدة حسب العادة فرأى أن يلتجيء الى الرواق الذي في واجهة المعبد ريثما تسنح له فرصة لينسل بها الى الداخل وصعد السلم العريض بهدوء وتؤدة ثم جلس على مقربة من الباب وأجفانه مثقلة بالكرى . وماهى الا بضع دقائق حتى استغرق في سبات عميق

الفصل الحادي والخمسون

فاروس ينتقم

وبعد ساعة من الزمن استيقظ فاروس على أصوات سمعها على مقربة منه . فصغى لعله يعرف تلك الاصوات ولزم الهدوء لئلا يدري أحد بوجوده

ولاحت منه التفاتة فابصر في ذلك الرواق نافذة كانت الاصوات آتية منها . فدنا منها وعاد يصغي بكل هدوء وانتباه ثم قال : ويحي من رجل جاهل! أن هذا الصوت صوت ساتيري الكاهن بلا شك . فما الذي أوصله إلى هنا . وكيف نجا من الموت من قبر توثميس ؟ حقا أنه الغاز لا أستطيع حلها

ثم دنا خطوة أخرى من النافذة ليؤكد بالبصر ماسمعه بالاذن . فابصر ساتيري واقفاً بقرب النافذة وأمامه جنديان وقد طفق أحدهما يخاطبه قائلا : لقد جئت لأتلو عليك هذا الأمر من سيدي راميس

ثم نشر أمامه درجا وقرأ مايأتي : من راميس قائد جيش فرعون الى ساتيري كاهن معبد آمون . أمرني سيدي توت عنخ أمون فرعون الجالس على عرش مصر آن أبلغك أنه قد عفا عنك وصفح عن خيانتك جزاءً لك عن المعونة التي أسديتها اليه الانتصار على الثوار والفوز على فاروس . لذلك هكذا يقول فرعون . أنك تبقى داخل أسوار هذا المعبد وتستغفر عن خطاياك الى الالهة الى أن تجد نعمة في عيني الملك فيأذن لك في الخروج من هذا المعبد

ولم يكد الجندي يفرغ من تلاوة ذلك المنشور حتى ثار غضب فاروس على الكاهن وقال لنفسه : إذن هذا الكاهن هو سبب الفشل الذي منيت به . فلينتظر موته . لقد خنتني أيها الكاهن فلا تنتظر مني الرحمة . وسأنزل بك العقاب الشديد فلن تنقذك الالهة من يدي ! ...

قال ذلك وهو يرقب انصراف الجنديين من أمام الكاهن ويرى ابتسامة الأطمئنان على وجهه . ولما توارى الجنديان ولم يبق مع ساتيرى أحد وثب فاروس إلى داخل الغرفة . وقبل أن يدرك ساتيرى ما جرى تناول فاروس هراوة الكاهن الغليظة وضربه بها ضربة كادت تودي بحياته وهو يقول : لقد جئت لانزل بك العقاب الذي تستحقه أيها الخائن اللعين

فصاح الكاهن : ويحك . لقد قتلتني لماذا أتيت إلى هنا ؟

فقال فاروس والشرر يقدح من عينيه : لقد أتيت لانتقم . واذا انتقم فاروس فلا عاصم من نقمته .

فقال الكاهن وهو يرتجف : أنني لا أفهم ماتقول

فاجاب فاروس : وهل تظن أنك تنال الصفح بالمراوغة والنفاق ؟ لقد علمت كل شيء وعرفت كيف وشيت بي الى فرعون لكي يصفح عنك . إذن ان تخرج حياً من هذا المكان

قال ذلك ورفع الهراوة لينزلها على رأس ساتيري الدامي مرة أخرى . فتراجع الكاهن بضع خطوات وهو يصيح ويولول . ولكن فاروس لحق به وضربه على ام رأسه ضربة قاضية . فوقع الرجل على الارض يتخبط بدمائه ثم أنّ أنة الموت وأسلم الروح

فقال فاروس مخاطباً جثته الهامدة : الى الهاوية أيها اللعين . انك لن تزعجني فيما بعد ! ..

ثم وقف هنيهة يتأمل . فخطر بباله فكر يدل على منتهى الجرأة والجسارة . وتذكر ما جاء في رسالة راميس الى الكاهن من جهة وجوب مكوثه في المعبد الى أن تصفح عنه الآلهة . فقال لنفسه : لماذا لا أتنكر بثياب ساتيري وأحل محله ؟ ان المسئلة سهلة جداً وفي استطاعتي أن اخدع الجميع وأظهر بمظهر كاهن هذا المعبد المسجون بامر الملك فاتوارى بذلك عن الانظار ولا يخطر ببال أحد أن يبحث عني بين جدران هذا المعبد

وأخذ يقلب تلك الخطة على جميع وجوهها ويفحص جزئياتها . ثم عمد الى جثة الكاهن فانتزع عنها الملابس بسرعة واستبدل بها ثيابه . ثم ألقى بالجثة وبثيابه في صندوق كان على مقربة منه لكي يخفي آثار جريمته . وبعد أن فرغ من ذلك اضطجع على الارض واستغرق في سبات عميق

***

وفي تلك الساعة عينها دخل راميس على الملك توت عنخ آمون وقد ارتسمت على وجهه علامات القلق والانزعاج. ثم حيا الملك ووقف امامه فنظر اليه هذا وقد أدهشه ما رآه على وجهه من علامات الارتباك وقال له : ما وراءك يا راميس ؟ فاجاب راميس : ليس عندي من الانباء ما يفرح سيدي الملك فقد عاد جميع الحراس الذين بثثتهم في شوارع المدينة للبحث عن فاروس ولم يقفوا له على أثر . وذهب فريق منهم الى وادي الملوك لعلهم يعثرون عليه بين المقابر ولكنهم عادوا يخفي حنين

فهز توت عنخ آمون رأسه وقال : ان فاروس عدو خطر يجدر بنا أن نحسب له حساباً .

فهو ماهر في دس الدسائس وزرع بزور الفتن فيجب أن نحذر منه . واذا صدق ظني فهو مستتر في بعض مكامن المدينة لانه يعرف جميع الشوارع معرفة تامة

ثم صمت قليلا وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهاباً وهو يفكر فى ما يجب عمله . وبعد أن أطال اعمال الفكرة قال: لاشك أن في وسع الكاهن ساتيري أن يسدي الينا نصيحة لمطاردة الرجل . ونصيحة ساتيري ثمينة فى مثل هذه الاحوال . ولعله يعلم بمكمن ذلك الخائن . فالى المعبد لمقابلة ساتيري

فقال راميس : ليعش سيدي الملك. أن رأيه صائب فليفعل ما يحسن فى عينيه

واذ ذاك صفق الملك بيديه فدخل أحد العبيد فامره بان يهيء احدى المركبات الملكية لكي يذهب الى معبد آمون . فحيا العبد وخرج

وما هى الا بضع دقائق حتى امتطى فرعون المركبة الملكية وسار قاصداً ساتيري فى معبد آمون

الفصل الثاني والخمسون

فى قبضة الخائن

أشرفت المركبة على معبد آمون والشمس مائلة الى المغيب . وما هى الا هنيهة حتى ترجل توت عنخ آمون وصعد السلم العريض المؤدي الى مدخل المعبد . وكان الهدوء مستولياً على ذلك المكان . فقال الملك لنفسه وهو ينظر الى الصيادين في قواربهم على نهر النيل الذي كان ذلك المعبد قائما على مقربة منه : أليس لمثل هذا السلام وهذا الهدوء سفك الكثيرون من أبطال مصر دماءهم وضحوا بحياتهم لكي يتمتع أولادهم وذووهم بلذة الحياة الهادئة ؟

قال ذلك وقرع باب المعبد قرعاً لطيفاً . فأطل أحد الكهنة ليرى من الطارق فقال له توت عنخ آمون : قد أتيت لاناجي الآله آمون واقدم له الحمد على نعمه وآلائه وعلى النصر الذي أولانا اياه على الاعداء

ففتح الكاهن باب المعبد وأدخل الملك . فسار هذا حتى وصل الى الحجرة المقدسة حيث كان تمثال الاله . فوقف الملك أمامه بكل خشوع وتواضع والكاهن واقف الى جانبه . وفيما هو كذلك سمع صوت نحيب وعويل فسأل الكاهن عن سبب ذلك فقال له أن أحد الاشراف

قد توفى وقد جيء بجثته الى المعبد لتقديسها قبل دفنها وأهل الميت واقفون في صحن المعبد ليقدموا القرابين الاعتيادية

وفي الواقع أن الحجرة المقدسة كانت ملأى بالهدايا التى كان أهل الميت قد جاءوا بها لتقديمها وعلى مقربة من الباب تابوت قد وضعت فيه جثة الميت . فقال الملك للكاهن : دعني أنفرد بنفسى لمناجاة الاله . وأرجو أن تبعث اليّ بالكاهن ساتيري فانى أريد أن اخاطبه في بعض الامور

فانحنى الكاهن وخرج . وظل الملك وحده غير شاعر بالخطر الذي كان محدقاً به . ثم عمد الى باب الحجرة فأوصده وراء الكاهن

وكان الظلام حالكا يكاد لا يتبين المرء فيه وجه صاحبه . وحانت من الملك التفاتة فابصر جسم رجل مضطجع على الارض وهو في ثياب الكاهن ساتيرى . فقال لنفسه : يا له من كاهن كسول . انه يغط كالبهيمة بدلا من أن يحيى الليل في مناجاة الاله واستغفاره

ثم دنا منه ولمسه لمسة خفيفة ليوقظه وقال له : قم انهض يا ساتيرى . انني أريد أن أحدثك

ولو أن النور كان كافيا لابصر على وجه ذلك الراقد ابتسامة تنم عن اللؤم والدهاء . وفي الواقع أن فاروس كان فى تلك الدقيقة يفكر في حيلة ينتقم بها من توت عنخ آمون . فقد كانت الفرصة سانحة وربما لن تسنح مرة أخرى

وانحنى توت عنخ آمون على جسم الراقد مرة أخرى وهزه بلطف قائلاً : قم يا ساتيرى فان الذى يخاطبك هو مليكك

فتحرك الرجل قليلا وتحفز للنهوض . ثم وقف على قدميه فجأة وبيده حربة قد صوبها الى صدر الملك . فتراجع توت عنخ آمون مذعوراً الى الوراء وهو لا يصدق ناظريه . وانتقلت يده الى مقبض حربته بسرعة البرق الخاطف ووقف يدافع عن نفسه . ولحسن الحظ تمكن من تلافي طعنة خصمه ولكن رجله عثرت فسقط على الارض . فما كان من فاروس الا أن انقض عليه انقضاض الصاعقة . وكانت الحربة قد افلتت من يده فمد ذراعه وأمسك بقطعة حديد كانت بجانبه وضرب بها الملك على أم رأسه ضربة أفقدته رشده وتركته كالجثة الهامدة

واذ ذاك عاد فاروس الى نفسه وصار يرتجف من شدة الهلع اذ خيل اليه أن الملك قد قتل ثم أخذ يفكر فى حيلة لاخفاء جريمته وهو يقول لنفسه : فى هذه الليلة سينوح المصريون على توت عنخ آمون الذى دفعته الآلهة الى يدى فانتقمت منه نقمة فظيعة

وبينما هو يفكر فى ما يجب عمله قرع باب الحجرة فاستولى على فاروس ذعر شديد لان جثة الملك كانت لا تزال قدامه

الفصل الثالث والخمسون

البحث عن الملك

ولم يبق أمام فاروس الا ان ينقل الجثة الى احدى زوايا الحجرة المظلمة ريثما يرى من الطارق فدفعها بكل جهده حتى أصبحت بمأمن من الانظار . ثم فتح الباب واذا الكاهن الذي جاء بالملك الى تلك الحجرة يقول : اين الملك فرعون ؟

فاجاب فاروس : لقد ارتحل من هنا

فتأسف الكاهن وقال : اذن لقد جئت متاخرا فان اهل النبيل المتوفى سمعوا بان الملك في المعبد فارسلوني لكي التمس منه ان يبارك جثة فقيدهم قبل انطلاقها الى العالم السفلى

فخفق قلب فاروس خفقاناً سريعاً لانه خشى مغبة جريمته . ثم انطلق الكاهن فاخذ يعمل فكرته للخلاص من ذلك المأزق . وعلم ان جثة النبيل كانت موضوعة في تابوتها فى الحجرة المجاورة . ففتح الباب بهدوء وانتقل منه الى تلك الحجرة فابصر التابوت موضوعا هنالك فعاد مسرعاً وحمل جثة توت عنخ آمون ونقلها الى الحجرة المجاورة . ثم رفع غطاء التابوت . وكان مسمراً ومعداً للدفن . ووضع جثة توت عنخ آمون فيه فوق جثة الميت . وعاد وسمر غطاء التابوت وقد شعر بشيء من الطمأنينة لانه تمكن من اخفاء آثار جنايته .ولما فرغ من عمله اعاد كل شيء الى ماكان عليه ثم انسل راجعا الى الحجرة المقدسة حيث كان في الاول واخذ يعمل فكرته مرة أخرى للنجاة من ذلك المكان قبل أن يعلم الناس بما جرى

وقضى على تلك الحال ساعة من الزمن فرأى انه ما من طريقة للنجاة الا الاحتيال على حراس المعبد . فقال فى نفسه : اذا تمكنت من خداع الحراس فسأخرج من طيبة وانفض عني غبارها . ثم استأنف العمل للاستيلاء على عرش مصر اذ لايزال لى بين هذا الشعب اتباع كثيرون مستعدون ان يضحوا بحياتهم في سبيل تحقيق الامانى التى اتعلل بها

قال ذلك ثم فتح باب الحجرة المقدسة مرة أخرى وخرج الى صحن المعبد حيث توارى في الظلام

نعود بالقارىء الى قصر الملك

في خلال ذلك كان راميس يسير في باحة القصر جيئة وذهاباً وعلى وجهه علامات القلق لان الملك ابطأ فى العودة مع شدة الاخطار التى كان محاطا بها . وكان يسير وهو يقول بصوت مسموع : ما عسى ان يكون قد عاق الملك عن العودة ؟ ليتنى لم اتركه يسير وحده

وفى الواقع انه كان يلوم نفسه كثيراً لعدم مرافقته الملك الى معبد آمون اذ كان لايزال يخشى الشر من جانب فاروس . وما دام فاروس مطلق السراح فستظل الاخطار محدقة بعرش الملك اذ ان لذلك الخائن اتباعا ليس من الحكمة الاستخفاف بهم

وفيما هو يسير في باحة القصر منزعج الخاطر سمع وقع اقدام على مقربة منه . ثم حانت منه التفاتة فابصر الاميرة ميريس مقبلة عليه وعلامات القلق مرتسمة على محياها الجميل . فلما وصلت الى راميس حيته بابتسامة لطيفة وقالت له : ان الملك لم يعد حتى الآن يارامیس وانا شديدة القلق عليه

فهز راميس رأسه وهو مضطرب البال وقال : الا تعلمين ايتها الاميرة ان للملك غرامين؟

فحملقت الاميرة في وجهه وقالت : لست افهم ما تقوله يارامیس

قال : ان للملك غرامين ـ احدهما انت ياسيدتى والآخر الاخطار التى يهواها ويحب الاندفاع عليها منذ نعومة اظفاره . واظن انه لاه في هذه الليلة بغرامه الثانى

قالت : وكيف تعلم ذلك

قال : اعلمه بالغريزة كما اعلم أيضا ان غرام الملك بك هو الاقوى والاشد

قالت : لاشك انك تمزح يارامیس

قال : بل هى الحقيقة ايتها الاميرة . ولو كان الملك ههنا لشهد بصحة ما اقول

فعلت وجهها حمرة الخجل وقالت : دعنا من . . .

ولم تكمل عبارتها لان قرقعة مركبة طرقت اسماعها واسماع راميس.فادار الاثنان انظارهما الى جهة الصوت وقالت الاميرة : لقد عاد الملك بمركبته

ولكن راميس لم يتكلم بل ظل يحدق بابصاره وهو ينظر الى المركبة القادمة . وما هي الا لحظة حتى وقفت بجواديها امام راميس والاميرة وكان أحد الجنود يقودها . فسأله راميس عن الملك فقال : ان المركبة وجدت فارغة ولا يعلم احد ماذا حل بالملك

فصاح راميس : ماذا تقول ؟ اولم يجدوا اثرا للملك

فقال الجندى : كلا ياسيدى . وقد تفرق عدد من الجنود للبحث عنه . وكنت أنا من جملتهم . وقد ذهب بحثنا ادراج الرياح

فعلت صفرة الهلع وجه راميس حتى كاد يعجز عن ضبط حواسه. وكاد يغمى على الاميرة ميريس لو لم يتدار كها راميس ويهدىء روعها . فقال لها : تشددى وتشجعي ياسيدتى فلا بد لنا من حل هذه الالفاظ . انني سانطلق للحال الى معبد آمون لاقف على جلية الخبر

فهدأ روعها قليلا لانها كانت تثق براميس ثقة عظيمة وشكرته من صميم قلبها فطيب نفسها وقال لها : ساذهب لمقابلة الكاهن ساتيري فلا شك انه يعلم ماجرى للملك . ولا اظنه بعدما حصل على الصفح يعود الى معاداتنا فقد علمه الاختبار انه خير له ان يكون في جانبنا

قال ذلك وامتطى احد جوادى المركبة وسار يلهب به قاصدا معبد آمون . وما هى الا بضع دقائق حتى بلغه وقد كاد جواده يسقط تحته من شدة الاعياء فترجل وصعد سلم المعبد وقرع الباب فاطل عليه أحد الكهنة وساله ماذا يريد . فقال راميس : اريد ان ارى الكاهن ساتيرى

فسأله الكاهن : من انت وما شانك ؟

قال : انا راميس قائد جيش فرعون . افتح حالا فانى اريد مقابلة رئيس الكهنة

فقال الكاهن : اخشى انك قد جئت متأخرا ياسيدي القائد فان ساتيرى قد مات

فصاح راميس : مات ؟ ماذا تعني ؟

قال : نعم ياسيدي فقد وجدناه مقتولا في غرفته . ان حوادث غريبة جدا قد وقعت داخل المعبد . تعال وانظر ياسيدي

الفصل الرابع والخمسون

النجاة من النار

سار الكاهن بين صفين من الاعمدة الصوانية يتبعه راميس وقد زادت هواجسه . ووقف كلاهما أمام الحجرة المقدسة وقد القى مصباح ضئيل نوره على ما في داخلها . ولحظ راميس أن الكاهن يرتجف ولسانه يتلعثم فقال له : لم تخاف وما الذي أصابك ؟ فلم يجبه الكاهن بشيء بل أخذ يجيل انظاره حتى أبصر التابوت الذى كانت فيه جثة النبيل المتوفى في اليوم الفائت .

فحدق راميس الى التابوت وخيل اليه أنه يسمع حركة في داخله . فاستولى عليه شيء من الذعر لان أهل ذلك الزمن كانوا يؤمنون بالخرافات . وارتاع الكاهن ايضا فتراجع الى الوراء . وبعمله هذا أصاب المصباح الموضوع على مقربة من التابوت فوقع على لفائف من الكتان الناعم مغمسة بالنطرون وموضوعة هنالك لتكفين الميت . فاشتعل الكتان واندلع لسان اللهيب بسرعة حتى كاد يلتهم كل ما في الغرفة . ولم يكن لراميس في تلك اللحظة الا هم واحد وهو أن ينقذ التابوت اذ خيل اليه أن الجثة التي في داخله لا تزال على قيد الحياة . فصاح بالكاهن : ويحك أسرع . يجب أن ننقذ التابوت قبل كل شيء ما دامت الجثة لم تحنط بعد ! انزع ثوبك والقه على اللهيب !

قال ذلك وخلع رداءه وأخذ يضرب به اللهيب المتصاعد ليطفئه . ثم تمكن من اخراج التابوت من الحجرة ووضعه خارجا . وما كاد يفعل ذلك حتى شعر بان الحركة التي في داخله تقوى وتشتد . فلم يبق عند راميس شك في ان الجثة — أو الروح التي داخلها على حسب اعتقاد الناس في تلك الايام — تحاول الخروج من التابوت لسبب من الاسباب . فتعاون راميس والكاهن على ازاحة غطاء التابوت . وما كان أشد ذعرهما اذ ابصرا الملك توت عنخ آمون وقد أصابه دوار وشبه اغماء . فاسرعا وانهضاه وبذلا كل ما في وسعهما لاعادته الى حالة الصحو حتى تنفس وفتح عينيه وأخذ ينظر من شيء الى شيء كانه يسأل أين هو وما الذي أوصله الى هنالك

وكانه تذكر ما وقع له فوثب قائما على قدميه وشكر راميس لانه أنقذ حياته مرة اخرى . ثم روى ما وقع له منذ جاء الى ذلك المعبد ليقابل الكاهن ساتيري . وأردف ذلك بقوله : كنت قد قطعت كل أمل من النجاة لو لم تتداركني يا راميس . واني لاحمد الالهة لانك وصلت في الدقيقة الملائمة . والآن يجب أن نبث الارصاد على فاروس اذ لا بد أنه مختبىء في طيبة . وما دام مطلق السراح فلا راحة لنا ولا سلام

* * *

ولنترك الآن الملك وراميس يعودان الى القصر ولنتبع فاروس بعد فراره من المعبد

مر بالقارىء في أحد الفصول السابقة أن هذا الرجل الشرير كان له منزل حقير يخفي فيه كنوزه المسروقة ويلتجىء اليه في وقت الشدة . ففي هذه المرة سار اليه حسب عادته وقد عزم أن ياخذ ما يستطيع حمله من الحلى والمجارة الكريمة ويخرج من طيبة ريثما تهدأ الاحوال . ولو كنا معه لرأيناه يجمع من كنوزه المسروقة كل ما خف حمله وغلا ثمنه . ثم جعل الجميع رزمة واعاد

بقية الكنوز إلى مواضعها ليستطيع الوصول اليها عند الحاجة . وكان يبتسم من وقت الى آخر وهو يقول متمتما : لقد انتقمت من توت عنخ آمون نقمة فظيعة ولكن مطامعي لن تقف عند هذا الحد . فسأخرج من هذا المكان وأسير الى حيث أستطيع أن أجمع فلول اتباعي وأعيد الكرة للاستيلاء على العرش . وسيعلم المصريون أنني لن أترك لهم حجراً على حجر حتى تتحقق مطامعي وانال ما أتمناه . أما الآن فأضرب في الصحراء في هذا الليل الى حيث تقودني قدماي . ومعي من الذهب ما يكفيني طويلا

قال ذلك وضحك ضحكة شيطانية ظانا أن أحلامه لابد أن تتحقق وان الاخطار قد زالت عنه . ولم يكن ليعبأ باخطار الصحراء في ذلك الليل لاعتقاده أن اللصوص وقطاع الطرق لا يقصدون الصحراء في الليل اذ لا يمكن أن يجدوا فيها فريسة

لذلك عزم على السير شمالا نحو سوريا للمرة الثانية . فاوصد باب منزله وخبأ رزمة الحلى والحجارة الكريمة تحت ردائه . ثم تقلد حربته وتناول عكازه وخرج

وكانت أفكاره كلها محصورة في الخطة التي يجدر به انتهاجها . ولذلك لم يتنبه الى شبح رجل أخذ يتبعه منذ خروجه من منزله . وكان هذا الرجل من كبار اللصوص وقد راقبه من نافذة المنزل المطلة على الطريق ورآه ياخذ معه رزمة من الكنوز . ويظهر أن فاروس لشدة انهماكه بجمع تلك الكنوز لم يتنبه الى النافذة ولم يحكم اغلاقها . فكانت النتيجة ان ذلك اللص راقبه مراقبة دقيقة وعلم كل شيء فعزم أن يتبعه ويقتله ويستولي على ما معه

وعلم اللص أن فاروس يقصد الصحراء فرأى أن يتبعه الى هنالك ويرتكب جريمته حيث يسهل اخفاء معالمها . فظل يسير وراءه من زقاق الى زقاق ومن منعطف طريق الى آخر وفاروس لا يشعر به على الاطلاق حتى وصل كلاهما الى الصحراء وأصبحا بعيدين عن المدينة . وما كاد فاروس يوغل في طريق الرمل حتى انقض عليه اللص وفاجأه بضربة من هراوته الغليظة على أم رأسه واتبعها بطعنة خنجر نجلاء . فسقط فاروس على الارض يتخبط بدمائه ويئن أنين الألم وهو يقول : لقد انتهى كل شيء ! لقد ذهبت مطامعي أدراج الرياح !

ولكن اللص عاجله بطعنة اخرى اخمد بها أنفاسه ثم أخذ يبحث عن رزمة الحجارة الكريمة التي كانت معه حتى عثر عليها فاخذها وفر بها غنيمة باردة

الفصل الخامس والخمسون

الختام

في عصر يوم من أيام الربيع الجميلة وقد صفا جوه واعتدل هواؤه كان الملك توت عنخ آمون يتنزه على النيل فى السفينة الملكية المذهبة . وقد جلس تحت المظلة الحريرية وأخذ يمتع طرفه بمحاسن الطبيعة التى كانت تبدو على ضفتى النهر . وكانت الاضطرابات قد اخمدت والامن قد استتب في المملكة اذ هلك فاروس ونجا الملك من جميع أعدائه . وبينما توت عنخ آمون جالس يتذكر ماضيه ويتعلل بمستقبله حانت منه التفاتة فابصر الاميرة ميريس واقفة على ظهر السفينة على كثب منه . فاومأ اليها بان تدنو منه فتقدمت . فنهض وأمسك بيدها واجلسها بجانبه . ثم أخذ يتحدث معها عن محاسن الطبيعة واستتباب الامن والسكينة في جميع انحاء المملكة وأردف ذلك بقوله : على أن أسباب سعادتي لا تزال ناقصة اذ يعوزنى شيء واحد . . .

فنظرت اليه الاميرة بعينها النجلاوين كانها تستطلع خفايا افكاره . فعلم توت عنخ آمون ما وراء تلك النظرة الحادة فقال لها : الا تذكرين أيتها الاميرة أيام الحداثة اذ كنا نلعب ونلهو معا وليس ما يكدرنا في هذه الحياة !

فقالت : وهل أنسى يا سيدى أيام السعادة ؟

قال : لذلك دعوتك الى النزهة معى في هذه السفينة ولأن لي معك كلاما أريد أن أقوله لك وأنا بعيد عن مهام المملكة

فخفق قلب ميريس وأطرقت برأسها الى الارض اذ أدركت ما كان يجول بفكر الملك . ووصل هذا حديثه فقال لها : لقد دعوتك لاسمعك كلام الحب الخالد . فانا أحبك حبا هو متمم سعادتى ومحقق أحلامى . فهل تقبلين عواطفي بالمثل ؟

فاجابته وعيناها مغرورقتان بدموع الفرح : وهل من سعادة اعظم من أن أحظى بنعمة فى عيني سيدي الملك ؟ انى امته فليصنع بي ما يحسن لديه . بل أشكر الالهة لانى أسعد فتاة في هذا العالم

ولا تسل عن السرور الذي استولى على قلب توت عنخ آمون . فخيل اليه أن العالم كله يضحك ويبتسم لسروره . وصار يتمنى لو يستطيع أن يمضي العمر كله هنالك بعيدا عن هموم العرش ومتاعب المملكة

وفيما هو على تلك الحالة من الفرح مر أمامه راميس قائد جيشه . فاستدعاه وقال له وهو واضع يده على كتفه : لقد كنت يا راميس أخلص الناس لي وأصدقهم خدمة . فلا أرى بدا من اطلاعك على أمر لا ريب انه يسرك وهو انني قد اخترت الاميرة ميريس لتكون زوجتي وشريكتي في حمل أعباء المملكة

فانحنى راميس امامها مسلما وقال : ليعش سيدي الملك وليهلك اعداؤه . أن الالهة كانت قد منحتني شرف خدمته حتى الان . ومن اليوم فصاعدا ساحسب شرفي اعظم بخدمة سيدي الملك وسيدتي الملكة

وفي مساء ذلك اليوم عادت السفينة الملكية تقل توت عنخ آمون وزوجته ميريس وقائد جيشه راميس .وما كاد القوم يصلون الى القصر حتى ذاعت الاخبار في العاصمة كلها فعمت الافراح وانتشرت الانباء

وعاش الملك بعد ذلك بهناء وصفاء لان الامن استتب في المملكة ورسخ عرشه وكان اسمه مهوبا ليس في مصر فقط بل في جميع الاقطار

(تمت)

الاوراق المالية المصرية

الفرق بين اسعار اهمها فى شهر

	فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٥	فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥	
الموحد	٨٢ ٣/٨	٨٢ ١/٣	جنيه
الممتاز	٧١ ٣/٤	٧٢ ١/٤	»
البنك الاهلى	٣٤ ١/١٦	٣٣ ١/٨	»
» الزراعى	٨ ١/٢	٨ ٧/١٦	»
اسهم العقارى	٩٨٤	٩٧٧	فرنك
السندات الاولى	٥٢٧	٥٤٨ ١/٢	»
» الثانية	٣٣٠	٣٥٢	»
» الثالثة	٣٠١	٣١٨	»
السويس ٥ بالمائة	٤٧٨ ١/٢	٤٧٥ ١/٢	»
» ٣ »	٣٤٨ ١/٢	٣٤٥	»
هليوبوليس	٣٤٤	٣٣٤	»

المجلة الشهرية

فهرس الجزء الثانى عشر (يناير) من المجلد الاول

صفحة		صور
١٣٤٥	الربع الاول من القرن العشرين	
١٣٥٢	احمد حسنين بك	٧
١٣٥٧	خزائن البحر الميت	
١٣٥٨	المستر غلادستون	٦
١٣٦٧	سكان الارض وزيادتهم	
١٣٧٠	ترويض الافيال البرية	٤
١٣٧٣	التوائم ولغز الحياة	
١٣٧٦	لا آخر للعلم	
١٣٧٧	سكان الزهرة	١
١٣٨١	تاريخ الطيران	١٣
١٣٨٩	النار في الدارين	
١٣٩٢	كلمة عن البعوضة	
١٣٩٣	القلب الدامي	
١٣٩٤	قلم الرصاص وصنعه	١٢
١٣٩٩	المرأة الجديدة	
١٤٠٣	الغرفة المسكونة	٣
١٤١١	التهريب في الجمارك الانجليزية	
١٤١٣	بحيرة الارواح	٢
١٤١٧	تفسير الاحلام	
١٤١٨	شاعرة انجليزية وميسون النجدية	
١٤١٩	التغزل بالخريف	
١٤٢٠	اشعة اكس لانقاذ الحياة	
١٤٢٨	داء النجاح ودواؤه	
١٤٢٩	مذهب جديد في اصل الكون	
١٤٣٠	اسرار قلب زوجة	
١٤٣٣	كتب الشهر	
١٤٣٦	العالم في شهر	
١٤٤٠	آخر العام الاول للمجلة الشهرية	

فالمجموع ٢٨ مقالة و ٤٨ صورة

﴿ المطبعة التجارية الكبرى بشارع عابدين حارة فايد رقم ٣ تليفون ٦١٠٩ ﴾